موسوعة العلامة الأوردبادي

الجزء الحادي عشر

حياة الإمام المجدد
السيد محمد حسن الحسيني الشيرازي

تأليف

العلامة الشيخ محمد علي الأوردبادي

١٣١٢ - ١٣٨٠ هـ

جمع وتحقيق وضبط المؤلف

السيد مهدي آل المجدد الشيرازي

ينظم ومتابعة

مركز إحياء التراث

التابع لدار مخطوطات الجمعية العامية المقدسة

٤٧

بسم الله الرحمن الرحيم

موسوعة العلامة الأوردبادي

الجزء الحادي عشر

حياة الإمام المجدد
السيد محمد حسن الحسيني الشيرازي

تأليف

العلامة الشيخ محمد علي الغروي الأوردبادي
١٣١٢ - ١٣٨٠ هـ

جمع وتحقيق سبط المؤلف

السيد مهدي آل المجدد الشيرازي

بنظر ومتابعة
مركز إحياء التراث
التابع لدار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

العتبة العباسية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية/ شعبة المكتبة

كربلاء المقدسة/ ص.ب. (٢٣٣)/ هاتف: ٣٢٢٦٠٠، داخلي: ٢٥١

www.alkafeel.net
library@alkafeel.net
tahqiq@alkafeel.net

آل المجدد الشيرازى، محمّدمهدى محمّد جعفر، ١٣٦٠ هـ-

موسوعة العلّامة الأوردبادي = The Scholar Al-Aurdaba'di's Encyclopedia/ جمع وتحقيق السيّد مهدي آل المجدد الشيرازي ؛ بنظر ومتابعة مركز إحياء التّراث التّابع لدار مخطوطات العتبة العبّاسيّة المقدّسة .- الطبعة الأولى.- كربلاء: مكتبة العتبة العباسية المقدّسة، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥.

٢٥ مجلد. - (مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدّسة؛ ٣٩ - ٥٩).

يتضمن مصادر وكشافات.

١. الأوردبادي، محمّد علي بن أبي القاسم بن محمّد تقي، ١٣١٢- ١٣٨٠ هـ.— الآثار ٢. الشيعة — تراجم. ٣. دوائر معارف. ٤. الشِّعر العربي— القرن ١٤ هـ. ألف. مركز إحياء التّراث التّابع لدار مخطوطات العتبة العبّاسيّة المقدّسة. ب. العنوان. ج. العنوان: The Scholar Al-Aurdaba'di's Encyclopedia.

BP80. A7 A5 2015

الفهرسة والتصنيف في مكتبة ودار مخطوطات العتبة العبّاسيّة المقدّسة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق الوطنية في بغداد لسنة ٢٠١٥م: ٦٢٨.

موسوعة العلّامة الأوردبادي الجزء الحادي العشر

الكتاب: حياةُ الإمام المجدّدِ السيّد محمّد حسن الحُسيني الشيرازي.

المؤلّف: الشيخ محمّد علي الأوردبادي (ت ١٣٨٠ هـ).

المحقق: سبط المؤلّف السيّد مهدي آل المجدد الشّيرازي.

بنظر ومتابعة: مركز إحياء التّراث التّابع لدار مخطوطات العتبة العبّاسيّة المقدّسة.

الناشر: مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدّسة.

المدقق اللغوي: علي حبيب العيداني.

المطبعة: دار الكفيل- العراق- كربلاء المقدّسة.

الطبعة: الأولى.

عدد النسخ: ١٠٠٠.

التاريخ: ١٥ جمادى الأُولى ١٤٣٦هـ - ٣ آذار ٢٠١٥م.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب

ينقسم هذا الكتاب إلى قسمين:

الأوّل: فيه دراسة عن حياة أكبر شخصيّة دينيّة بارزة يُعدّ في زمانه، امتدّ اسمه وذكره إلى زماننا هذا مشفوعاً بالإكبار والتقدير عند أغلب الناس الذين سَبَرُوا حياته ومواقفه الكريمة، ألا وهو الإمام المجدِّد السيّد محمّد حسن الحسيني الشيرازي المتوفَّى سنة ١٣١٢، فإنّه الرجل القويُّ المحنّك، والمثل الأعلى في الجهاد بقلمه وتوجيهاته، فقد هابه الملوك، وأَذعنوا له بالاحترام.

وتعدّ فتوى تحريم «التنباك» من أبرز الأحداث في أيّامه، وإن كانت هناك أُمورٌ لا تقلُّ أهمّيّةً عن تلك، مثل: حكمه الصارم في فسخ بيع قسم من الأراضي الإيرانيّة إلى دولة «روسيا» من محافظة «خراسان» كما تجد تفصيله في هذا القسم.

ففي هذا الكتاب دراسة خصبة عن حياة سيّدنا المجدِّد، وعن حياة بعض تلاميذه البارزين الذين صار كلّ واحد منهم من بعده عَلَماً من الأعلام، وقائداً وزعيماً دينيّاً يُشار إليه بالعزِّ والعظمة، مثل:

الشيخ المجاهد آية الله الشيخ محمّد تقي الشيرازي الحائري، والفقيه الكبير آية الله السيّد محمّد كاظم اليزدي، والمحقِّق آية الله الشيخ الآخوند الخراساني قُدِّست أسرارهم.

والقسم الثاني:

وبعد تلك الدراسة تجد نفسك أمامَ كتاب ضخم من الأدب العربي، وهو ما قيل في السيِّد المجدِّد وآله من الشعر، باسم «سبائِك التِّبر»، فهي في الحقيقة سبائِكُ صاغها الشُّعراء اللّامعون من طبقات مختلفة، وأماكن متنوّعة، كُلٌّ يعبِّر عن ما يختلج في قلبه، فيصوغها صَوْغَ التبر على الورق.

فهو في الحقيقة ديوان جدير بأن يُسمّى بهذا الاسم، وجدير أنْ يُدْرَسَ دراسة علميّة وأدبيّة تُسلَّط فيها الأضواء على ذلك الدور الذهبي الذي مرّ به السيّد المجدِّد.

وكان الإمام الطهراني ـ صاحب الذريعة ـ قدّس سرّه يشجّعني دائماً عندما أكون بخدمته على طبع هذا الديوان القيّم، ويقول: اطلب من السادة فلان وفلان ـ وهما من علماء الأُسرة ـ أن يطبعوا هذا الديوان الغزير بالأدب العربي اللّامع المحشوّ بالفوائد الجمّة التي لا يُستغنى عنها.

أقول: ولكن «لكلّ شيء أجل»، والآن حان وقت نشر هذا الديوان، فهاكها هديّة سَنِيَّة، وسبائِكَ تبرٍ بين يديك.

وجدير بالذكر هنا أنّ في هذا الديوان الكبير قصائد قليلة لم تذكر وكان جدُّنا العلّامة الأوردبادي قدّس سرّه في حياته يرغب في ذكرها في الديوان، وهي موجودة ببعض مجاميعه وغيرها، فقمت بهذا الدور وذكرتها في أماكنها مع ذكر المصادر امتثالاً لرغبته.

ولقد أَجاد العلّامة السيّد عبدالستّار الحسني البغدادي عندما قرأ هذا الديوان فأنشد فوراً:

[من الوافر]

حَوَت مَوسُوعةُ الفِكْرِ المُعلَّى ذخائِرَ لَيْسَ تُوصَفُ بِالنَّفادِ

وَكَيْفَ يُصابُ شَرْواها[1] سَناءً وَجامِعُها الإمامُ الأُورْدُبادي

وقد جاء ذكر هذا الكتاب في الذريعة ج٧ ص١١٧ حيث قال:

«حياة الإمام المجدِّد الشيرازي» في ترجمة أحوال سيّدنا الميرزا محمّد حسن ابن محمود الشيرازي وتواريخه وسوانح عصره، إلى أن تُوفّي ١٣١٢: كتاب كبير مشتمل على تراجمِ جمعٍ كثير من تلاميذه ومعاصريه، وهو كالمقدّمة للكتاب الآتي في حرف «السين» بعنوان «سبائك التِّبر فيما قيل في الإمام الشيرازي من الشعر»، المجموع فيه تراجم شعرائه ومادحيه مع إيراد قصائدهم ومدائحهم على ترتيب حروف القوافي، في أكثر من ثمانمائة صفحة، وهو أيضاً

(١) الشَّرْوى: المِثْلُ.

كتاب تاريخيّ أدبيّ أتعب نفسَهُ فيه مؤلِّفُهُ الشيخ محمّد علي الأُوردبادي ابن أبو القاسم المولود ١٣١٢ مؤلِّف كتاب «حياة إبراهيم بن مالك الأشتر» وغيره.

السيّد مهدي آل المجدد الشيرازي

النجف الأشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه وسلام على عباده الّذين اصطفى.

سيّد الطائفة آية الله العظمى الإمام المجدِّد للمذهب في القرن الرابع عشر، السيّد الميرزا محمّد حسن ابن السيّد الميرزا محمود ابن السيّد الميرزا إسماعيل ابن فتح الله بن عابد بن لطف الله بن محمّد مؤمن الحسيني الشيرازي.

ولد في شيراز في ١٥ جمادى الأُولى سنة ١٢٣٠، وشرع بالقراءة غرّة جمادى الأُولى سنة ١٢٣٤، وابتدأ بقراءة العربيّة في غرّة شوّال سنة ١٢٣٦، وأخذ الآليَّات والسطوح العلميّة في شيراز.

ثمّ هاجر إلى إصفهان العاصمة العلميّة يومذاك، فوردها في ١٧ صفر سنة ١٢٤٨، وتخرّج على أُستاذ المجتهدين الشيخ محمّد تقي[1] صاحب «الحاشية

---

(١) هو ابن محمّد رحيم بيك الإيوانكيفي الورامـيني الطـهرانـي الإصـفهاني، أحـد رؤسـاء الطائفة ومحقّقي الإماميّة المؤسِّسين في هذا القرن ـ أي القرن الثالث عشر بعد الهجرة ـ له تصانيف كثيرة أشهرها «حاشية المعالم» المتداولة، الّتي لُقِّب بها أحفاده العلماء الأجلّاء.

على المعالم»، واختصَّ بعد وفاته بالمحقّق الأَوحد السيّد حسن المدرّس[١] المتوفّى سنة ١٢٧٣ حتّى نال منه الشهادة ـ إجازة الاجتهاد ـ ولمّا يبلغ العشرين من سنيّ عمره.

[أقوالُ العلماء في حقّه وعظمة مقامه]

ويَمَّم العراقَ في حدود سنة ١٢٥٩، وحضر الأندية العلميّة حتّى نَصَّ صاحب «الجواهر»[٢] المتوفّى سنة ١٢٦٦ باجتهاده في كتابٍ له إلى والي فارس، وينبئُ فيه عن رئاسته الكبرى، وكلاءته حوزةَ العلم والدين. وليس ذلك من شيخ الأُمّة، وفقيه العصابة ببعيد؛ فإنّ المؤمن ينظر بنور الله، فكيف بزعيمهم الأوحد؟!

وأنا رأيتُ هذا الكتاب، وإليك نصّ عبارته:

➲ توفّي يوم الجمعة منتصف شوّال ١٢٤٨، ودفن بمقبرة «تخت فولاد». انظر الطبقات من الكرام البررة ـ الترجمة (٤٤٢).

(١) تُرجِمَ سيّدنا المدرّس في باب المجاميع (الحديقة المبهجة) من هذه الموسوعة.

(٢) الشيخ محمّد حسن صاحب الجواهر: هو من أهمّ أركان الطائفة الجعفريّة، وأكابر فقهاء الإماميّة وأعاظم علماء القرن الثالث عشر بعد الهجرة، وكتابه الكبير «جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام» من أشهر الكتب الفقهيّة وأضخمها، وأكثرها فائدة وعلماً. وأُسرته من بعده لُقِّبوا بهذا اللقب «آل الجواهر»، وفيهم العلماء والأُدباء.

وُلد قدّس سرّه في حدود ١٢٠٢، وتوفّي ١٢٦٦، ودفن في مقبرته إلى جنب مسجده المعروف بـ«مسجد الجواهري». راجع الكرام البررة من الطبقات ١: ٣١٠ ـ برقم (٦٣٢) لتجد ترجمة وافية له.

«إنّه ممّن اختاره ـ يعني الله ـ عَلَماً للعباد، وأَميناً في البلاد، ومُرَوِّجاً لمذهب الشيعة و كَفيلاً لأبنائهم».

ويُروى مثل ذلك عن الأخلاقيّ الأكبر السيّد علي التُّستري وصيّ الشيخ الإمام الأنصاري ومُراده في الأخلاق والسلوك وصاحب الكرامات والمقامات المتوفّى سنة ١٢٨٣، وكان السيّد يلهج بتلكم الكلمات على عهد الإمام الأنصاري الّذي لم يكن يُذْكَرْ معه فيه[١] غيره لزعامةِ دينٍ أو دنيا.

واختصّ في التلمذة والحضور بأبحاث شيخ الطائفة الإمام المرتضى الأنصاري[٢] المتوفّى سنة ١٢٨١ في النجف الأشرف، وكان الشيخ يشير إليه، وينصّ به في موقف العلم والعمل. وكان إذا تكلّم في منتدى التدريس أصاخ[٣] إلى قِيلِهِ، مائلاً بكلّه إليه، وأمر الحضورَ بالسكوت إكباراً لمقامه، واعتناءً بكلامه، ثمّ يبيّن ما قاله للحضور.

ولقد نصّ الشيخ الأُستاذ بأنّ مطمح نظره في التدريس إلى ثلاثة؛ أحدهم سيّدنا المُتَرْجَمُ له.

ودخل عليه «آصف الدولة» من رجال العهد الناصري بإيران، وكان قد سبق منه اجتماعٌ بسيّدنا المجدّد في حرم العسكريّين عليهما السلام بسامرّاء، فقبّل

---

(١) أي في ذلك العهد.

(٢) جاء ذكره الشريف باختصار في باب المجاميع (الحديقة المبهجة) من هذه الموسوعة.

(٣) أصاخَ: استمع وأَنْصَتَ.

فيه يده ووصله بشيء من المال، فاستحفاه[١] الشيخ ذلك النبأ، فقال له: كأنّك قَبَّلْتَ يمين إمام العصر ووَصَلْتَهُ.

هكذا كان سيّدنا المترجم له، تُظلُّه سماء العظمة، وتُقِلُّه منصَّةُ الفَخارِ، وقد حاز الأهميّة الكبرى بين العلماء، والتعيّن في حوزة الإمام الأنصاري بالشهادة والاختبار حتّى قضى الشيخ نحبه.

أثكل القدرُ الحاتِم العلمَ والدِّين، أَثكل الورعَ والتُّقى، أَثكل الأُمّةَ جمعاءَ، بوفاة العميد الأعظم، والمؤسّس الأكبر، الشيخ الأنصاريّ قُدِّس سرّه.

قضى نحبَه والناسُ في دهشة، مُقْلَقَةً بمصاب الفقيد من جهة، ولتحرّي مرجع للتقليد من جهة أُخرى؛ كما هو الشأن عند فقد المراجع العظام، فطفقوا يُحْفُونَ السُّؤالَ ويُلحِفُون.

هنالك انعقدت لجنة من صدور تلامذة الشيخ للنظر في صالح الأُمّة والدّين، وبطبيعة الحال كان كلٌّ منهم يصلح أن يكونَ إمامَ أُمّةٍ، وزعيمَ عالَمٍ، ومصلحَ دهرٍ، ألا وهم:

الحاج الميرزا محمّد حسن الآشتياني[٢] صاحب الحاشية الفخمة الضخمة،

---

(١) أي تحقّق منه ذلك النبأ.

(٢) هو ابن الميرزا جعفر ابن الميرزا محمّد الآشتياني الطهراني، عالم كبير ورئيس جليل، وأشهر مشاهير علماء طهران، وأعلمهم في عصره.

ولد في آشتيان حدود ١٢٤٨ ونشأ بها، وهو من تلاميذ شيخنا الأنصاري حتّى عُدّ من أعاظمهم، وكان يكتب تقريراته إلى أن توفّي الشيخ في ١٢٨١، فعاد المترجَمُ له إلى

الفائقة بالتحقيق الرائق، والنظر العميق، المتوفّى سنة ١٣١٩.

والآقا حسن النجم آبادي[١]، أفقه من في حوزة الشيخ بشهادةٍ منهم، وصاحب التآليف الفقهيّة الجمّة، المتوفّى في حدود سنة ١٢٨٤.

والحاج حبيب الله الرشتي[٢]، المحقّق، المدرّس الأكبر، صاحب البدائع، والكتب الفقهيّة الكثيرة، المتوفّى سنة ١٣١٢.

والميرزا عبدالرحيم النهاوندي، المتوفّى بعد سنة ١٣٠٠[٣].

➲ طهران في ١٢٨٢، فصار ينشر تحقيقات شيخه الأنصاري، فعكف عليه طلبة العلم أيّما عكوفٍ، وبقي يبثّ العلم إلى أن توفّي في ١٣١٩، وحمل إلى النجف فدفن في الصحن الشريف في مقبرة الشيخ التستري. راجع طبقات أعلام الشيعة ١: ٣٨٨ ـ برقم (٧٨٤)، لتجد ترجمة وافية له.

(١) هو الشيخ الآغا حسن ابن المولى إبراهيم ابن المولى باقر النجم آبادي الطهراني، ترجمه شيخنا الطهراني في الكرام البررة من الطبقات ١: ٣٠٤ ـ برقم (٦١٩)، وقال: إنّه من أعاظم العلماء وكبار الفقهاء ... اتّفقت آراء العلماء الأبدال على الرجوع إليه، والتقليد له بعد الشيخ الأنصاري، لكنّه لشدّة ورعه واحتياطه أبى وامتنع كلّ الامتناع، وأَرجع الأمر إلى السيّد المجدِّد الشيرازي.

توفّي في النجف بعد وفاة أُستاذه الأنصاري بقليل حدود ١٢٨٤.

(٢) الشيخ الرشتي مترجم في باب المجاميع (الحديقة المبهجة) من هذه الموسوعة.

(٣) الشيخ الميرزا عبدالرحيم ابن الميرزا نجف المستوفي النهاوندي، عالم متبحّر وفقيه بارع.

هبط النجف الأشرف بعد قراءة مقدّمات العلوم، فحضر على الشيخ الأنصاري ولازمه عدّة سنين، حتّى صار من أجلّاء تلامذته ومن الفقهاء والمحقّقين المتضلّعين، وتولّى ➲

وما انفضَّتْ هذه الجمعيّة إلّا ووقعت خيرتهم على الإمام المجدِّد صاحب الترجمة، فطلبوا مثوله في النَّدِيِّ، وأَنْهَوا إليه نتيجةَ أفكارهم، وألزموه بالتّصدّي لزعامة الدين والمسلمين لتقدُّمه علماً وحزماً وتُقًى، وبالرغم من امتناعه الشديد ألزمه الفقيهُ آقا حسن بالحكومة الشرعيّة التي يجب اتِّباعُها.

ولَمَّا أُنهي نَبأَ المجتمع إلى بقيّة العلماء تلقّوه بكُلّ ترحيبٍ واحتفاءٍ، فاتّفقت الكلمة، وأُرئِبَ[١] الصَّدعُ، فكان يتبلّج به صدرُ الدَّسْتِ[٢]، ومِنبرُ التدريس، ومحرابُ الإمامة، ومنصَّة الزَّعامة. وليس هنالك من يضاهيه سوى العلّامة الأكبر آية الله السيّد حسين الكوهكمري المتوفّى سنة ١٢٩٩[٣]، فتشاطرا بالنُّهوض بأعباء الإمامة رَدْحاً من الزَّمن، حتّى مضى السيّد إلى لقاء ربِّه، فاستقلّ سيّدنا المجدِّد بأمر الدين والدنيا، فتربَّع على عرش الإمامة بمفرده، وتفيَّأَ المسلمونَ بسَجْسَجِ[٤] ظِلِّهِ أينما حَلُّوا وارتحلوا.

لعلّك لا تجدُ ـ أو قلّما تجد ـ أنّ زعيماً أخذ على جميع معاصريه الأمرَ،

➲ التدريس في النجف الأشرف على عهد أُستاذه، وحظي بالتأييد منه..

وتوفّي سنة ١٣٠٤، وحمل جثمانه إلى النجف الأشرف. راجع نقباء البشر من الطبقات ٣: ١١٠٨ ـ الترجمة (١٦١٦).

(١) رأَبَ الصَّدعَ: أصلحه.

(٢) الدَّسْتُ: المجلس.

(٣) لسيّدنا ترجمة مفصّلة في باب التراجم (من هنا وهناك) من هذه الموسوعة.

(٤) السَّجْسَج: المعتدل لا حَرّ فيه ولا قَرّ، وفي الحديث: ظِلُّ الجنّةِ سَجْسَجٌ. انظر النهاية الأثيريّة ٢: ٣٤٣.

والأكثرُ أو الكلُّ يجدون من أنفسهم اللياقة وحنكة الرئاسة ثمّ يخضعون له معترفين له بالتقدّم.

لكنَّ سيِّدنا المترجَم لهُ كان قد طَنَّبَ رُواق شهرته ونبوغه في الآفاق كُلِّها، ومعاصروه هم الّذين قدّموه على أنفسهم كما عرفت.

وكان الفقيه الأخلاقيّ الكبير المولى حسين قلي الهمداني المتوفّى سنة ١٣١١[١] ـ بعد أن تلقّب المترجَم لهُ بالوضع التعييني بـ«حجّة الإسلام» لجدارةٍ منه محرزة لدى الملأ وكِفايةٍ[٢] قام بعبئِها، كما سبقه إليه عَلَمُ الشيعة وكافلها الأوحد السيّد محمّد باقر [الشَّفتي] الإصفهاني[٣] المتوفّى سنة ١٢٦٠ ـ كان

---

(١) المولى الشيخ حسين قلي الهمداني النجفي، من أعاظم العلماء، وأكابر فقهاء الشيعة، وخاتمة علماء الأخلاق في عصره.
ترجمه الإمام الطهراني في طبقاته بترجمة وافيه جديرة بالقراءة، لما فيها من آثار روحانيّة، والتوجّه إلى الله تعالى، رقم الترجمة (١١١٣): كانت ولادته ١٢٣٩، وتوفّي ١٣١١ في كربلاء زائراً، في ٢٨ شعبان، ودفن في الصحن الحسيني الشريف في الحجرة الرابعة الواقعة على يسار الداخل إلى الصحن من الباب الزينبي.

(٢) كان في الأصل «وكفاءَةٍ» فهي المماثلة. والوجه «وكفايةٍ»: وهي القيام بالأُمور على أتمّ الوجوه مع توفّر الملكة، وهو المناسب لهذا المقام. أحد الفضلاء.

(٣) جاء في الكرام البررة من الطبقات ١: ١٩٢ ـ الترجمة (٣٩٧): السيّد محمّد باقر حجّة الإسلام الإصفهاني، ينتهي نسبه إلى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، فهو من فحول علماء الإماميّة، ومن كبار زعماء الدين. هاجر إلى العراق في سنّ مبكّرة لطلب العلم، فأخذ من الوحيد البهبهاني، وصاحب الرياض في كربلاء، وفي النجف الأشرف من

المولى المذكور يكتب إليه: «حجّة الإسلام الحقيقي».

وحكى العلّامةُ الحجّةُ الميرزا محمّد الطهراني[١] ـ نزيل سامرّاء ـ أنّه سمع المولى المذكور يقول في مجلس درسه: إنّ ملكة سيّدنا المترجم لهُ أفضل المَلَكات. قال: ورأيته في سامرّاء يقبّل يده الكريمة خضوعاً له.

والواقف على حياة هذا الرجل العظيم ـ وخطّته في الأخلاق والتهذيب، والإرشاد والالتزام بِمُرِّ الحق، وصريح الحقيقة، والتجنّب عن المحاباة والمغالاة ـ يعرف قيمة تينك الكلمتين الثمينتين، وأنّه لم يلفظ بهما إلّا بعد عقيدة راسخة منه بتأهُّلِ المترجَم لتِلكُمُ المرتبة العليا.

وكان الزعيمُ الأوحدُ آيةُ الله الشيخ محمّد حسن المامقاني ـ المتوفّى سنة ١٣٢٣[٢]، ذلك الخشنُ في ذات الله، غيرُ المكترث بالفخفخاتِ الرائجةِ، والمَلَقِ السائدِ ـ يقول:

➲ السيّد بحر العلوم والشيخ جعفر كاشف الغطاء، وفي الكاظميّة من السيّد محسن الأعرجي. ثمّ سافر إلى «قم» فتتلمذ على صاحب «القوانين» المحقّق القمّي، وحضر في كاشان على الشيخ النراقي.

وفي سنة ١٢٠٦ نزل إصفهان، واحتلّ مركزاً عظيماً، ومرجعيّة كبرى وزعامة عظمى، فكان يقيم الحدود الشرعيّة ويجريها بيده، أو يد من يأمره بلا خشية ولا خوف. ولد سنة ١١٧٥، ووفاته كما تقدّم في الأصل سنة ١٢٦٠.

(١) الشيخ محمّد الطهراني العسكري ترجم في «السبيل الجدد» رقم الإجازة (٤٥) كما تقدّم.

(٢) الشيخ محمّد حسن المامقاني مترجم في باب المجاميع (المجموعة الكبيرة) من هذه الموسوعة.

«إنّ رجلاً تقلَّد الزعامةَ الدينيّةَ الكبرى ثلاثين عاماً، ولم يصدر منه حتّى تَرْكُ الأَوْلَى، فلا مساغ للقائل إلّا أن يخضع لعدله وعظمته».

وأمّا شيخ الطائفة آية الله الشيخ محمّد طه نجف[١] ـ المتوفّى سنة ١٣٢٣ ـ فكان يعتقد فيه بمرتبة الولاية، ويثبت له الكرامات، وأمرُهُ في ذلك مشهور.

وكان الثقةُ الورع الشيخ راضي الطريحي[٢] يروي عنه في ذلك أشياء. وبمقربة منه ما كان يعتقد فيه الفقيه الأعظم الشيخ محمّد حسن آل ياسين الكاظمي[٣] ـ المتوفّى سنة ١٣٠٨ ـ كما ينمّ عنه كتاب منه إلى العلّامة الحجّة السيّد محمّد الهندي[٤].

---

(١) الشيخ محمّد طه نجف مترجَمٌ في باب المجاميع (المجموعة الكبيرة) من هذه الموسوعة.

(٢) هو ابن الشيخ علي ابن الشيخ محمّد الطريحي الأسدي النجفي، فاضلٌ جليل، وورع صالح، وكان من خواصّ أصحاب الشيخ محمّد طه نجف، وقد حجّ أكثر من عشرين مرّة، وكان محترماً مبجّلاً لدى علماء عصره ومراجعه، وكان مُعوَّلاً عليه في سُنن الحجّ وآدابه. وهو والد العلّامة الشيخ كاتب الطريحي. توفّي شيخنا الراضي سنة ١٣٤١. انظر طبقات أعلام الشيعة ٢: ٧١٩ ـ الترجمة (١١٦٨).

(٣) الشيخ محمّد حسن آل ياسين ترجم في باب المجاميع (الحديقة المبهجة) من هذه الموسوعة.

(٤) السيّد محمّد الهندي النجفي ابن هاشم ابن الأمير شجاعت علي الموسوي النَّقَوي، كان من أعاظم العلماء، وهو صهر صاحب الجواهر. وتتلمذ عليه وعلى الشيخ الأنصاري، وعلى السيّد المجدِّد، وكان يكتب تقريرات بحثه، وله مصنّفات تزيد على خمسين

والعلّامةُ الحجّة الشيخ[١] الميرزا محمّد حسن ابن آقا محمّد علي الهزارجريبي المازندراني[٢] ـ ابن آقا محمّد باقر النجفي، نزيل إصفهان، والزعيم الروحي بها، المتوفّى سنة ١٣١٧ ـ كان إذا جرى ذكر المترجم له قام قياماً تعظيماً لذكره، وإكباراً لمقامه.

وذكر آيةُ الله السيّد حسن صدر الدين العاملي الكاظمي[٣] ـ المتوفّى سنة ١٣٥٤ ـ في «بغية الوعاة»: أنّه وَجَدَهُ يوم ورد النجف الأشرف سنة ١٢٨٨ سيّد العلماء على الإطلاق، وتلامذته أفاضل العصر، يضرب به المثل في الدّقّة والتحقيق.. إلى أن قال: وهو عند أهل التحقيق أفقه من شيخنا الأنصاري، بل أعلم من عامّة العلماء المتأخّرين[٤].

➲ مجلّداً. وهو أبو العلماء الثلاثة: السيّد باقر، والسيّد رضا، والسيّد هاشم. توفّي سنة ١٣٢٣ ودفن في داره في محلّة «الحويش» في النجف الأشرف. انظر هدية الرازي: ١٥١.

(١) في الأصل: «السيّد»، وهو سهو من قلمه الشريف.

(٢) جاء ذكره في الطبقات ١: ٤٢٠ ـ الترجمة (٨٣٦): أنّه ولد سنة ١٢٣٩ من بنت العالم الحكيم الميرزا محمّد باقر النَّوَّاب وزير محمّد شاه وفتح علي شاه.
ثمّ جاء ذكرُ أساتذته وهم: السيّد إبراهيم بن محمّد باقر الموسوي القزويني الحائري مؤلّف «الضوابط»، والشيخ محمّد حسن مؤلّف «الجواهر»، والشيخ الأنصاري، وبعده السيّد المجدِّد الشيرازي. ولمّا هاجر إلى إصفهان كان السيّد المجدّد يعظّمه ويرشد إليه، ولذا رجع إليه الكثير، وكان في غاية الورع والتقوى والمروءة.

(٣) السيّد الصدر مترجم في باب المجاميع (الحدائق ذات الأكمام) من هذه الموسوعة.

(٤) بغية الوعاة في طبقات مشايخ الإجازات: ٥٥.

وفي كتاب «أنيس الطلّاب» للمولى محمّد حسن الزنجاني[١]: إنّه كان على عهد الإمام الأنصاري مقدّماً على العلماء، ويحضر نادي بحثه زرافات من العلماء والأفاضل، لكنّه لم يترك درس الشيخ تيمّناً به.

ولقد جاء في كتاب «المآثر والآثار» لصنيع الدولة وزير الانطباعات على العهد الناصري في إيران: إنّه أعلم المجتهدين اليوم في نظر أهل العلم.. إلى قوله: يقال: إنّ دقّة نظره، ورقّة فكره في الفقاهة، لم يحوها أحدٌ من المعاصرين، يضرب به المثل في حسن الخُلُق، ومجاهدة النفس، ظهر تقدّمه بعد وفاة شيخ الطائفة الأنصاري، وأذعن ببراعته ورجحانه كافّة أفاضل العراق، ومجتهدي الآفاق[٢].

وفي «فارسنامة الناصري» للمؤرّخ الحاج الميرزا حسن الحسيني الفسائي ـ گفتار دوّم[٣] ص ٥٤ ـ و«طرائق الحقائق»، تأليف نائب الصدر الميرزا معصوم الشيرازي، كلماتٌ درّيّة يُشبه بعضها بعضاً، وليسوا في ذلك بمبالغين بعد ما عرفت من نظريّات فطاحل الأُمّة فيه.

---

(١) يذكر شيخنا الطهراني في الطبقات ١: ٤٢٦ ـ الترجمة (٨٤٦): إنّ شيخنا الأُوردبادي ترجم الشيخ الزنجاني في «زهر الرياض»، فهو عالم جليل، ومصنّف خبير، ولد سنة ١٢٥٦، وتوفّي حدود ١٣٤٠، وله مصنّفات كثيرة. وقال في الذريعة ٢: ٤٦٠/الرقم ١٧٨٣ «أنيس الطلاب»: ينقل عنه في زهر الرياض.

أقول: وهذه المجموعة (زهر الرياض) لم أعثر عليها.

(٢) المآثر والآثار: ١١٠.

(٣) أي المقالة الثانية.

وانتهى إلينا بأسانيد موثوقة: أنّ أُستاذ المجتهدين الرئيس المقدّم في كربلاء المشرّفة، المولى محمّد حسين الأردكاني[١] ـ المتوفّى سنة ١٣٠٥ ـ كان يرشد السائلين إلى تقليده في أحكام الدين، ويقول: «إنّ فيه بُلْغةً وكفايةً»، مع ما كان يجد في نفسه من العلم الغزير، والنظريّات الثاقبة، لكنّه ما كان يرى عن الحقّ ملتحداً كما هو المعروف عنه في سائر أفعاله وتروكه.

وحكى الثقةُ الورعُ السيّد محمّد الباقر الأُوردبادي: أنّه كان في أواخر أيّام سيّدنا المجدِّد في النجف الأشرف، فكتب إليه والده العلّامة السيّد محمّد التقي ـ وكان من أعاظم علماء تبريز ـ يطلب منه رسالة عمليّة لآية الله الشيخ المامقاني ـ السابق ذكره ـ لتكون مذخورة عنده للعملِ إن أصاب الإمامَ المجدِّدَ أمرٌ، فأَنهىٰ إلى الشيخ طَلِبَةَ والده، فقال: «أمّا مع وجود هذا الرجل العظيم فلا». قال: وبعد أيّام توفّي السيّد المترجَم له فبعث إليَّ الشيخ وناولني الرسالة وقال: «إنّها كانت موجودة عندي، وإنّما امتنعتُ عن إعطائها إكباراً لمقام الراحل الكريم».

ويُروى عن الفقيه الأكبر ـ زعيمِ إيران الوحيد في العاصمة الفارسيّة طهران، الحاج المولى علي الكَنِي[٢]، المتوفّى سنة ١٣٠٦ صاحب كتاب «القضاء»

---

(١) الشيخ الأردكاني، كان عالماً جليلاً، مرجعاً للتقليد، خرج من مجلسه جماعة من المجتهدين مثل الشيخ محمّد تقي الشيرازي وغيره، وله تصانيف في الفقه. توفّي في كربلاء سنة ١٣٠٢. انظر الكنى والألقاب ٢: ٢١.

(٢) شيخنا المولى علي الكني الطهراني، من أعاجيب دهره، وأكابر علماء عصره، كان عالماً بالتفسير وصناعة الحديث، مجتهداً في الفروع والأُصول، غيوراً في باب الأمر

المطبوع وغيره، من تلامذة صاحب الجواهر قدّس سرّه ـ من تعظيمه لسيّدنا المترجَم له في موارد كثيرة ما هو فوق الوصف والبيان، ولقد بلغ به الأمر أنّه أوصى بكتاب من كتبه أن يوضع في كفنه ويُقْبَر معه ليكون مفازةً له في برزخه، وكان في الكتاب سرٌّ من الأسرار. وله كرامة مشتركة بينه وبين الإمام المجدِّد مذكورة في غير هذا المحلّ.

وما يضاهي هذه الأقوال والأفعال كثير نكتفي منه بالمذكور، وإنّك تجد في المعاجم وغيرها ما هو أضعاف ما ذكرناه.

➲ بالمعروف والنهي عن المنكر. ولد سنة ١٢٢٠ قرب طهران في مكان يقال له «كَنْ»، وتوفّي سنة ١٣٠٦، ودفن عند السيّد عبدالعظيم الحسني سلام الله عليه. انظر أحسن الوديعة ١: ٨٢.

[بعض كمالاتِه ومواقِفِه]

صادفَتْ هذه العقائدُ في المترجَم لهُ حنكةً وجدارةً للتربّع على منصّة الإمامة العليا، وعِلْماً جمّاً، وورعاً موصوفاً، وحلماً راجحاً، وسَيْباً[1] هامِراً، وخلائقَ كريمةً، وملكاتٍ فاضلةٍ، وشناشنَ[2] نبويَّة، ونُبوغاً باهراً، ونظريّاتٍ عميقةً، أَبت له إلّا الذّروةَ والسَّنام من زعامةِ الدين، وإمامةِ الأُمّة، وصدرِ الدَّست، وصهوةِ المنبر.

طفِقَ سيّدُنا المترجم لهُ يسير بأُمّته سيراً سُجُحاً، يكلَأُها عن عادية الجورِ، ويسوسها بعلمه وحلمه ودينه، ويعولُ المحاويجَ بوَفْرِهِ، شأنَ سلفهِ الطاهرِ، فكانيقصده العلماء فيرويهم بنميرِ علمه العَذْبِ، وسائغِ فضلِهِ الكُثارِ[3]، وفرات عبقريّته ونبوغه. وتزوره الأُمراء فيرون منه هيبة إلهيّة، وروعةً وهِمماً، وبَذْخاً[4] وشَمماً. وأَمَّهُ سفراءُ الملوك أيَّامَ نزوله سامرّاء، فإمّا أن يخرج لهم

---

(١) السَّيْب: المطر الجاري، العطاء.

(٢) الشناشن: جمع الشِّنْشِنَة، وهي الخُلُق والطبيعة والسجيّة.

(٣) الكُثار: الكثير.

(٤) البَذْخ والبَذَخ: العُلُوّ والارتفاع والشموخ.

الإذن فيدخلون عليه خاضعين، أو ينكفئون بِخُفَّي حُنَينٍ[١]. وتُيمِّمُهُ الفقراءُ، وذَوُو الحاجاتِ فيجدونَ عنده فِناءً رَحْباً، وجِدَةً[٢] كافيةً، وخُلُقاً كريماً، وبِشْرةً زاهيةً.

أضف إلى ذلك كلّه ما كان أُوتيه من أَصالةِ الرأي، وقوّةِ العارضة، وفلجِ الحُجَّةِ، وسدادِ الذَّاكرةِ، وسجاحةِ الأخلاقِ، وإصابةِ الحَدْسِ، وحِدَّةِ التَّفَرُّسِ، والحصافةِ في القول، والثَّقافة في العمل، ووُفُورِ العطاء، وقضاءِ الحوائج، وتواصل العبادة، والزُّهد البالغ مع انهمال الدنيا عليه قَضَّها بقضيضها، إلى مقامات وكرامات لم يدلّنا التاريخ على اجتماعها في رجل واحد، ولكن:

[من السريع]

لَيسَ عَلَى اللهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَن يَجْمَعَ العالَمَ في واحِدِ[٣]

صادف أيّامَ كونه بالنجفِ الأشرف أَن أصابت النجفيّين أَزمةٌ بَهَضَتْهُمْ، فلم تُبْقِ للفقراء ثِمَّةً ولا رِمَّةً[٤]، وأهلكت ما لهم من سَبَدٍ ولَبَدٍ[٥]، وذلك في سنة ١٢٨٧، أو سنة ١٢٨٨، هنالك أخذ سيّدنا المجدِّد يُدِرُّ على عامّة أهل البلد

---

(١) مَثَلٌ من أمثال العرب، يقال لمن يرجع خائباً بلا نيل مقصوده: رَجَعَ بِخُفَّي حُنينٍ. وحنين اسم رجل كانت معه قصّة هذا المثل. انظر مجمع الأمثال ١: ٢٩٦/المثل ١٥٦٨.

(٢) الجِدَة: الغنى.

(٣) البيت لأبي نؤاس كما في ديوانه: ٢١٨.

(٤) أي لم تبق لهم كثيراً ولا قليلاً. انظر وجه قول العرب هذا في لسان العرب «ثمم» و«رمم».

(٥) السَّبَد: القليل من الشَّعَر. واللَّبَد: الصوف المتلبّد. يقال لمن لا شيء له: ما لَهُ سَبَدٌ ولا لَبَد، أي لا شعر ولا صوف.

ما يسدّ به رمقهم يوميّاً، وعيّن وكلاء على المحالّ يتفقّدون أحوال الضعفاء والمحاويج، ووكلاء على المدارس يرصدون حال الطلبة، عدا ما كان يُسديه إليهم هو إذا خرج إلى الجامع الهندي[1] للتدريس، فيصطفّون حوله، فلا يمرّ على أحد إلّا وينيله ما يسدّ خَلَّته الوقتيّة، فلم يبرح كذلك حتّى تقشّعت الأزمة،

---

(١) مسجد الهندي: يُعَدُّ جامع البلد الأعظم في النجف الأشرف، أُسِّسَ على التقوى في أوائل القرن الثالث عشر الهجري، في عصر الشيخ حسين نجف الكبير المتوفّى سنة ١٢٥١، وهو محلّ للعبادة ليلاً ونهاراً، وكان يفتح ويغلق مع الصحن الشريف، كما كان محلّاً لتدريس العلوم الدينيّة ـ السطوح منها والخارج ـ فإذا دخلت هذا المسجد الواسع رأيت حلقات التدريس هنا وهناك على مختلف الجنسيّات، وإذا مررت بباب المسجد أو الطريق الذي خلف المسجد تسمع الدويّ المتواصل لأهل العلم، فهو في الحقيقة أشبه ما يكون بجامعة كبيرة في عصرنا الحالي.

وفي سنة ١٣٧٥ قام آية الله السيّد محسن الحكيم ـ قدّس سرّه ـ المتوفّى سنة ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م بشراء بعض الدور المجاورة للمسجد، فوسّع ساحته، كما جعل له مقبرة صغيرة، ومكتبة عامّة كبيرة مُطلّتين على الجامع.

وسمّي المسجد بهذا الاسم نسبة إلى بانيه «خان محمّد» وكان رجلاً هنديّاً.

راجع ماضي النجف وحاضرها ج ١ تجد التفاصيل حول المسجد ومكتبة السيّد العامّة.

أمّا اليوم ونحن الآن في سنة ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م فمع كلّ الأسف لا يوجد ما ذكرناه من هذا القبيل شيء أبداً، فلا دراسة ولا صلاة جماعة، سوى إقامة الفواتح لأُناس عاديّين بعد ما كان لا يقام فيه إلّا للطبقة الأُولى من أهل العلم من فواتح واحتفالات دينيّة، وتأبين للعلماء الكبار.

أقول: وعاد نشاط المسجد مرّة أُخرى ـ ونحن في سنة ٢٠٠٩م ـ على أحسن ما يُرام والحمدُ للّه.

لكنّه تُرِكَتْ له في القلوب مكانةٌ راسية، ومحبّةٌ لا تزيحها طارِئاتُ الحوادث. وعُوِّدتِ الناسُ بمراجعته في كلّ ما تنتابهم من نوب الدهر وصروفه حتّى في البدلات العسكريّة التي كانت يومئذٍ بمائة ليرة.

وممّا زاد له في الملأ الشيعي بَذَخاً وهيبةً، أنّه لمّا زار الملكُ المغفورُ له ناصرُالدين شاه القاجاري الأعتابَ المقدّسةَ بالعراق في موكبه الملوكي سنة ١٢٨٧، زاره العلماء في النجف الأشرف، غير أنّ سيّدنا المجدِّد لم تَرُقْهُ ملاقاته، واشتاق الملكُ إلى لقائه، وبالرغم من رغباته الأكيدة في ذلك ـ وجعله الوسائل المتوفّرة للاجتماع به ـ لم يُقْرَنْ شيءٌ منه عند المترجَم لهُ بالقبول، حتّى آل الأمر إلى الملاقاة في الحضرة العلويّة الكريمة، فاستقبله الشاه هنالك بكلّ احتفاء وتكريم، وشاهَدَ منه أُبَّهةً علويَّةً، ومن كرائمِ الأخلاقِ شناشنَ سلفه الطاهرِ الهاشميَّةَ، فكان لذلك الصَّدِّ والوَصلِ نشرٌ[١] طَوَتْ نوافِجُهُ[٢] المفاوزَ والحُزُومَ[٣].

هكذا كان سيِّدنا المجدِّد يرفُلُ في ثيابِ عزٍّ مُزَرْكَشَةٍ، ومطارفَ من العلمِ قَشِيبةٍ، وأَبرادٍ للتُّقى نَقِيَّةٍ، ومآزِرَ من نزاهة النفسِ عَفَّةٍ[٤]، تعترفُ له العلماءُ بالفضيلة، وتتهافتُ الأَفاضلُ للاحتفالاتِ بمنبر إفادته، وتَعنُو له الملوكُ

---

(١) النَّشْر: عكس الطَّيِّ. والريح الطيِّبة.

(٢) النوافج: جمع النافجة، وهي وعاء المسك.

(٣) الحُزُومُ: جمعُ الحَزْم، وهو الغليظ المرتفع من الأرض.

(٤) عَفّة: عفيفة.

والسَّاسةُ، ويتبرّك به الملأالديني، حتَّى أُتيحَ له حجّ بيت الله الحرام سنة ١٢٨٨، فلقي في سيره هذا ومُنْقلَبِهِ من الحفاوةِ والتبجيلِ من الحجيج قاطبة، و من أُمراء آلِ الرشيد ـ في «جبل حائل»، يومَ كان الحجُّ من ذلك الطريقِ من بين «جَبَلَي طيٍّ» ـ ما هو فوق الوصف، ولَقَوا منه نماذجَ كثيرةً ممّا سمعوه عن أشياخِهِ سرواتِ المجدِ، وأَئمّةِ الدين من آل محمّدٍ صلّى الله عليه وآله وسلّم، هنالك منح أميرُ «حائل» سيفاً محلّىً كان يتبرَّك بتقلُّده الأميرُ.

[هجرته إلى سامرّاء وعيون تلامذته]

ولِأَحوال يطول ذكرها، ترجَّح عنده الهجرة إلى سامرّاء، فغادر النجف الأشرف[1] في شعبان سنة ١٢٩١، فتبعته بطانته من تلمذته العلماء، ثمّ تقاطرت

---

(١) يقول الدكتور علي الوردي في «لمحات اجتماعيّة من تاريخ العراق» ج٣ ص٧٧ ـ ١٠٢ عندما يذكر هجرة السيّد:

كانت هجرة الشيرازي إلى سامرّاء من أهمّ الأحداث في حينها، وصارت محور حديث الناس، وكثرت التقوّلات حولها. وأخذ الناس يتساءلون: ما السبب الذي جعل الشيرازي يترك النجف دار العلم، ويتّخذ مقرّه في تلك القرية الصغيرة النائية؟ وقد تعدّدت الآراء في تعليل تلك الهجرة:

فمنهم من قال: إنّ الشيرازي أراد بها التخلّصَ من قيود الرئاسة، والعزلَة عن الخلق.

ومنهم من قال: إنّه أراد الابتعاد عن المنافسين ومكايداتهم. وكذلك الابتعاد عن معارك «الزكرت» و«الشمرت».

وآخرون ذكروا أنّه كان مصاباً بمرض «السِّلِّ»، وهو إنّما اختار سامرّاء لطيب هوائها.

وقال تلميذه السيّد حسن الصدر في سبب هجرته: إنّه بعد مساعدة أهل النجف في سنة الغلاء، صار عامّة الناس يرجونه في كلّ مهمّة، ويقصدونه في كلّ مُلِمَّةٍ، حتّى في فكاك أولادهم من الجنديّة ببذل المال الذي به يكون فكاكهم من ذلك، وكان بدل الواحد منهم

إليه أفاضل الطلبة من كلّ فجّ عميق، حتّى عادت سامرّاء أكبرَ مباءة للعلم والعمل، وأهمّ مدرسة في العالم كلّه. فلم يك بين طالبيها ـ البالغ عددهم (٧٠٠) عالِمٍ أو يزيدون ـ إلّا فقيه محقّق، وأُصوليّ بارع، وحكيم فيلسوف، ومحدّث ضابط، ورحّال أثريّ، وأديب وشاعر، وأخلاقيّ مهذّب، ومفسّر أمين.

وإن تَعْجَبْ فعجبٌ أنّ هؤلاء الفطاحل مع اختلاف المشارب وتباين

➲ يومئذٍ «مائة ليرة» عثمانيّة، فضاق به الأمر، وعرف أنّ المحرّك لكثرة الرجاء منه بعض أعيان النجف، ورأى أن لا علاج له إلّا بالخروج من النجف الأشرف.

إنّنا حين نستعرض هذه الآراء المختلفة لا نستبعد أن تكون كلّها صحيحة، وهي ربّما اجتمعت كلّها في ذهن الشيرازي عندما عزم على الهجرة إلى سامرّاء، ولكنّ هناك سبباً آخر لم يذكره أحد، وهو فيما أظنّ قد لا يقلّ أهمّيّة عن الأسباب الأُخرى إن لم يكن أهمَّها:

يجب أن لا ننسى في هذا الصدد أنّ سامرّاء تتميّز عن غيرها من المدن العراقيّة بصفة خاصّة بها، هي أنّها قد اجتمع فيها عاملان متناقضان:

الأوّل: هو أنّ سامرّاء مزار شيعيّ مقدّس يقصدها آلاف الزوّار من الشيعة في كلّ عام.

والثاني: إنّ سكّان سامرّاء وسَدَنة الأماكن المقدّسة فيها من أهل السنّة. والواقع أنّ اجتماع هذين العاملين المتناقضين في سامرّاء كان سبباً في وقوع الكثير من المخاصمات الطائفيّة فيها، وطالما كان زوّار الشيعة ـ ولاسيّما الإيرانيّين منهم ـ يلقون الأذى والمضايقات من قبل سكّان البلدة والعشائر المحيطة بها، وأدّى ذلك إلى توتّر العلاقات بين إيران والعراق في بعض الأحيان.

يُخيَّل لي أنّ من الأسباب التي دفعت الشيرازي إلى الهجرة إلى سامرّاء هو أنّه كان يريد تحويلها إلى بلدة شيعيّة لكي ينقذ الزوّار من المضايقات التي يلقونها فيها. إنّه لم يعلن ذلك على الناس، ولكنّ الكثيرَ من القرائن يشير إليه.

النزعات ـ والغالبُ على أمثالهم من الأخصائيّين في كلّ فنّ أن لا يَرى أَحَدُهُم لمن عداه وزملائه الفنيّين فيما هو فيه قدراً ـ كيف ٱئتلفوا على مبدأ واحد وهو الخضوع لهذا البطل المعظَّم.

جَيْرِ[1]، ما هو إلَّا لأنّه هو الذي كان يُفيضُ عليهم العلمَ، ويُسْبغُ عليهم الفضيلةَ، ويُمرِّنهم على المثابرة، ويُلزِمهم بالمجاهدةِ، ويُهذّب أخلاقَهم، وينشر فضلَهم ويعطي كُلّ ذي حقٍّ حقَّهُ، ويُوقفهم على الطريقة المثلى، ويَغْمُرُهم بسَيْبِهِ الهامرِ، وعطائه الشامل، ويؤدِّبهم بأدبه الزَّاهي، ويكلأُ عزَّهُمْ، ويحفظ شرفهم، والرجلُ وحيدٌ في هذه الخصال.

فهو ـ كما أنّه بطلُ العلم، ورجلُ التحقيق، ونابغةُ الأدب ـ كهفُ التُّقى، وعَلَمُ الهُدى، ومنبثق النُّهى. وكما أنّه سيِّدُ السَّاسة، ومستودعُ الكِياسةِ، وقدوةُ مَن تقلَّد الرئاسة، فهو مُنتهى المجد، وغايةُ الشرفِ، ومنارُ الحَسَبِ. وكما أنّه سِمَةُ العدل، ووِسام الكرمِ، وشارَةُ[2] الأخلاق، فهو مستوى الحقيقة، وداعية الدين، وحافظ نواميسه. وهو حامية القرآن، ومحيي السنّة، ومميت البدعة. فلقد أقامَ العَمَدَ، وقَوَّمَ الأَودَ، وكَلأَ الأُمَّةَ، ونشر مآثر ـ الأئمّةِ عليهم السلام. فأيُّ بيانٍ يَفي بحقِّه، وإن مُلِئَتِ الصُّحُفُ، ونُشرَتِ الطَّواميرُ الطِّوالُ؟! فأين كانوا يجدون كمثله فيزدلفون إليه ويخضعون لعظمته؟!

---

(١) جَيْرِ: حرف جواب مبنيّ على الكسر، بمعنى «نَعَمْ».

(٢) الشَّارةُ: العَلَامةُ.

ولقد دوّن كثير منهم أنظارَهُ[١] العلميّة في الفقه وأُصوله، فجاءت منها كتب ضخمة: فمنهم: العلّامة المولى علي الروزدري المتوفّى في حدود سنة ١٢٩٠، لَهُ كتاب مبسوط يقع في مجلّدات من أوّل علم الأُصول إلى آخره، وهو أبسط ما كُتِبَ من تقرير درسه[٢].

ولكنّ المحقّق السيّد محمّد الإصفهاني الطباطبائي [الفشاركي][٣] المتوفّى سنة ١٣١٦ كتب ما كتبه منه كمبحث البراءة، ومباحث الخلل، والأغسال، والخيارات، وغيرها بنمط أَوْسَط.

وقد أوجز في التأليف الزعيم الكبير المولى محمّد كاظم الخراساني[٤] ـ المتوفّى سنة ١٣٢٩ ـ في تعليقه على رسائل الإمام الأنصاري، ثمّ أفرغ ذلك في قالب التأسيس، وأضاف إليه مباحث الألفاظ، وهو «كفايته» المطبوعة غير مرّة، المتداولة بين العلماء والأفاضل، ومباحثُها كلُّها مأخوذة من أُستاذه الأجلّ؛ يعرفها الفنيّون.

---

(١) جمع نَظَر، وهو الرَّأْي.

(٢) طبع في مؤسّسة أهل البيت عليهم السلام في «قُمّ المشرّفة» في أربعة أجزاء.

(٣) هو من أجلّاء تلاميذ المجدِّد الشيرازي، انتقل بعد وفاة أُستاذه إلى النجف الأشرف ودرس بها، له كتاب «الأغسال»، وله تلاميذ عظماء، منهم: الشيخ عبدالكريم الحائري، والشيخ الميرزا حسين النائيني، والآقا ضياء الدين العراقي، وغيرهم. توفّي في النجف الأشرف سنة ١٣١٦ في الثالث من ذي القعدة. انظر أعيان الشيعة ٧: ٢٥٤، وتكملة أمل الآمل ٥: ٨١.

(٤) ترجم في باب المجاميع (الحدائق ذات الأكمام) من هذه الموسوعة.

وللفقيه الأوحد الحاج آقا رضا الهمداني[١] ـ المتوفّى سنة ١٣٢٢ ـ حاشيتان على «الرسائل» و«البيع» للإمام الأنصاري، كلتاهما من تقرير أبحاث أُستاذه المجدّد، وله تقريرات أُخرى أُصوليّة.

وللعلّامة السيّد إبراهيم الدامغاني الخراساني[٢] تقارير كثيرة، فإنّه كان يدوّن جميع أبحاثه، ويوجد منها الآن مجلّد في العبادات والمعاملات، ومجلّد آخر في أُصول الفقه.

وكان الشيخ محمّد باقر الزرقاني[٣] ـ نسبة إلى محلّة من محالّ شيراز ـ أيضاً يكتب تقرير أبحاثه.

وللسيّد حسن بن إسماعيل الحسيني ـ المترجَم في هدية الرازي ـ قاعدة السلطنة، والأحكام الوضعيّة، وقاعدة التسامح، وقاعدة الضرر؛ كلّها تقارير دروس أُستاذه المجدّد.

وللعلّامة الشيخ عبّاس[٤] ـ ابن الشيخ حسن صاحب «أنوار الفقاهة»، ابن الشيخ الأكبر كاشف الغطاء المتوفّى سنة ١٣٢٣[٥] ـ رسالة في التعادل والتراجيح من تقريره.

---

(١) ترجم في باب المجاميع (الحدائق ذات الأكمام) من هذه الموسوعة.

(٢) ترجم في باب المجاميع (الحدائق ذات الأكمام) من هذه الموسوعة.

(٣) جاء في هدية الرازي: ٧ ما نَصُّهُ الشيخ الزرقاني من فضلاء تلاميذ السيّد المجدِّد، وكان يكتب تقرير بحثه. توفّي حدود سنة ١٣٠٨.

(٤) ترجم شيخنا العبّاس كاشف الغطاء في باب المجاميع (الحدائق ذات الأكمام) من هذه الموسوعة.

(٥) انظر كتاب الطبقات العنبريّة في الطبقات الجعفريّة لكاشف الغطاء: ٢٩٣.

وألّف الزعيم الخطير بالمشهد الرضوي الحاج الميرزا حبيب‌الله الخراساني[١] ـ المتوفّى سنة ١٣٢٧ ـ رسالة في التعادل والتراجيح، وأُخرى في اللّباس المشكوك فيه، من إفاداته.

وكتب العلّامة الشيخ حسن الكربلائي[٢] أشياء كثيرة منها في الفقه والأُصول، ومنها رسالة مستقلّة في قاعدة السلطنة.

وللعَلَم الفذّ الميرزا إبراهيم الشيرازي [المحلّاتي][٣] ـ المتوفّى سنة ١٣٣٦ ـ تقارير أبحاثه الفقهيّة والأُصوليّة، وله حاشية على رسالة الاستصحاب للإمام الأنصاري.

وللعلّامة الشيخ فضل الله النوري[٤] ـ الشهيد سنة ١٣٢٧ ـ كتاب الأغسال دَوَّنَ فيه إفادات بحثه[٥].

---

(١) السيّد حبيب الله الخراساني، كان من كبار العلماء، وهجرته إلى سامرّاء في الأوائل، وتشرّف هناك سنين، ثمّ رجع إلى مشهد الإمام الرضا عليه السلام، وكان فيها من الرؤساء الكبار. توفّي حدود سنة نيّف وعشرين وثلاثمائة وألف. انظر هدية الرازي: ٧٩. وفي نقباء البشر أنّه توفّي سنة ١٣٢٧.

(٢) ترجم في باب المجاميع من هذه الموسوعة.

(٣) كان الميرزا إبراهيم الشيرازي المحلّاتي من تلاميذ السيّد المجدِّد في النجف. وكان في شيراز مرجعاً ورئيساً إلى أن توفّي سنة نيّف وثلاثمائة وألف. انظر هدية الرازي: ٤٧. وفي نقباء البشر أنّه توفّي سنة ١٣٣٦.

(٤) ترجم في باب المجاميع (الحدائق ذات الأكمام) من هذه الموسوعة.

(٥) وله رسالة في المشتق من تقرير بحث السيّد المجدّد، وهي مطبوعة.

وللعالم العَلَم الميرزا مهدي[١] ابن المولى محمّد ابن أُخت الإمام آية الله الميرزا محمّد تقي الشيرازي المتوفّى سنة ١٣٠٨، من إفادات بحثه كتاب الطهارة، كتاب الصلاة، كتاب المتاجر.

وكان للعالم النَّيْقَد الشيخ باقر ابن المرحوم الشيخ علي حيدر الشرقي [المنتفكي][٢] ـ المتوفّى سنة ١٣٣٣ ـ تقارير أبحاثه الأُصوليّة.

وترجَمَ الفقيهُ الناسكُ الشيخ حسن علي الرازي[٣] ـ الزعيم الرّوحي في خراسان، المتوفّى سنة ١٣٢٥ ـ معاملاتِ الوحيد البهبهاني[٤] قدّس سرّه إلى

---

(١) ترجم في باب المجاميع من هذه الموسوعة.

(٢) يرجع نسبه إلى آل وثال بطن من الأجوَد في جنوب العراق، وسُمُّوا أخيراً بـ«آل حيدر»، ولا علاقة لهم بآل الشرقي الأُسرة النجفيّة المعروفة؛ فهؤلاء من بني خاقان.
وللشيخ المذكور ترجمة في «الحدائق ذات الأكمام» لجدّنا المؤلّف قدّس سرّه. وله إجازة ببلوغه درجة الاجتهاد المطلق من الحجّة الكبير الشيخ محمّد طه نجف، وقف عليها بعض أصدقائنا من السادة البغداديّين؛ وهو العلّامة السيّد عبدالستّار الحسني البغدادي. (المحقّق).

(٣) جاء في نقباء البشر من الطبقات ١: ٤٥٤ ـ برقم (٨٨١): هو الشيخ حسن علي ابن الحاج محمود التاجر التبريزي الأصل الطهراني، من أعاظم علماء عصره، وكان في النجف الأشرف من المشتغلين على العلماء، وهو من أوّل المهاجرين إلى سامرّاء، فكان يحضر بحث السيّد المجدِّد سنين كثيرة، وكان يقرأ شيئاً من «نهج البلاغة» بأمر أُستاذه قبل الشروع في البحث. أقول: واستمرّ شيخنا الطهراني يكبره ويجلّه إلى أن ذكر وفاته في مشهد الإمام الرضا عليه السلام سنة ١٣٢٥.

(٤) الشيخ محمّد باقر البهبهاني: عُدَّ شيخنا الوحيد من المجدِّدين على رأس القرن الثالث

العربيّة مطبّقاً إيَّاها على آراء أُستاذه المجدِّد في ترجمة موارد الخلاف.

وكان العلّامة الحجّة السيّد محمّد الهندي ـ المتوفّى سنة ١٣٢٣، صاحب الخمسين مؤلَّفاً أو أكثر، لمّا هبط سامرّاء لأسبابٍ اقتضت ذلك ـ يحضر بحث الإمام المجدّد ويكتب تقرير بحثه.

ومثله العلّامة الورع السيّد مهدي آل المرحوم السيّد حيدر الحسني[١] الكاظمي المتوفّى سنة ١٣٣٦، فقد كان يكتب تقرير أبحاثه مدّة مقامه بسامرّاء

وللعلّامة الشيخ أسد الله الزنجاني[٢] ـ المتوفّى سنة ١٣٥٤ ـ من تقريره في الأُصول مبحثُ المفاهيم والاستصحاب، والتعادل والتراجيح، والعامّ والخاصّ ومن القواعد: قاعدة لا ضرر، والعقود، وتداخل الأسباب، وتداخل الأغسال ومن الفقه: الطهارة إلى الماء المضاف، الشكوك، والخلل، والزكاة. وله كتاب في القواعد الكلّيّة بعضها من تقرير أبحاثه.

➲ عشر، فهو الرجل الوحيد الّذي تُنِيَتْ له الوسادة زمناً استطاع خلاله أن يعمل ويفيد. إنّ نهض بتكاليف الزّعامة والإمامة، ونشر العلم بها، واشتهر تحقيقه وتدقيقه، وبانت مكانته السامية وعلمه الكثير، وهو من ذرّيّة شيخنا المفيد. كانت ولادته سنة ١١١٨ ووفاته سنة ١٢٠٥... إلى آخر ما ذكره شيخنا الطهراني في الكرام البررة من الطبقات ١ ١٧١ ـ الترجمة (٣٦٠).

(١) السيّد مهدي ابن السيّد أحمد ابن السيّد حيدر الحسني، كان من العلماء المراجع، ومر المجاهدين ضدّ الإنجليز في ثورة العشرين (المصادف سنة ١٣٣٣هـ) كتب عنه مفصّلا السيّد أحمد الحسيني (الإمام الثائر السيّد مهدي الحيدري) مطبوع. (المحقّق).

(٢) الشيخ الزنجاني مترجم في «السبيل الجدد»، رقم الإجازة ٣٨ كما تقدّم.

وللعلّامة السيّد هاشم[١] ابن السيّد علي آل بحر العلوم من تقريره مبحثُ مقدِّمة الواجب؛ استحسنه أُستاذه وأمر باستنساخه. ومجلَّدٌ كبيرٌ في أُصول الفقه.

إلى كثير ممّن نضّدوا تلكم العقود الدرّيّة، وقد ذهب علينا الكثير منها في هذه العجالة.

هاجر سيّدنا المجدِّد إلى سامرّاء، وفي النجف الأشرف محقّقوا تلمذته ينشرون علمه وأنظاره العميقة فيه ـ كالمحقّق الخراساني صاحب «الكفاية»، والحاشية على «الرسائل» و«البيع»، وشرح «التبصرة»، و«الفوائد» وغيرها. والفقيه الأكبر السيّد محمّد كاظم الطباطبائي اليزدي[٢] المتوفّى سنة ١٣٣٧ صاحب الحاشية على المكاسب، و«العروة الوثقى»، ومقدّمة الواجب، والتعادل والتراجيح وغيرها. والفقيه المقدَّم السيّد إسماعيل العقيلي النوري[٣] شارح «نجاة العباد»، وغيرهم ـ فنشروا ألوية العلم الدين، ودَرَّبوا رُوَّادَ الفضيلة، ومرّنوهم على التهالك دونها، ومعهم الرَّواتب والجِرايات من الإمام المذكور يُدِرُّها عليهم بيد وكيله الحاج محمّد إبراهيم، وابنه الحاج عبدالصاحب الكازروني؛ من أتقياء تجّار النجف الأشرف يومئذ.

وكان عدد من يستوفي منه الجِرايات الشَّهريّة (٨٠٠) من العلماء وأفاضل

---

(١) هو ابن السيّد علي صاحب «البرهان». انظر رجال بحر العلوم ٢: ٣٠٠.

(٢) ترجم في باب المجاميع (الحدائق ذات الأكمام) من هذه الموسوعة.

(٣) ترجم في باب المجاميع (الحدائق ذات الأكمام) من هذه الموسوعة.

الطلبة والأشراف من الذريّة الطيّبة كما هو مُدْرَج ومشروح في دفتر الرَّجُلَيْنِ المذكُورَيْنِ.

وكذلك كان في كربلاء المشرّفة كثيرون يُدِرُّ عليهم سَيْبَ يده شهريّاً بيد الحاج محمّد جعفر اليزدي وغيره.

وكذلك في بلد الكاظم عليه السلام على يدِ وكيله الحاج محمّد إسماعيل المازندراني، وآقا محمّد هاشم الشيرازي، وكذلك غيرهما من بلدان الشيعة سواء البعيدة منها والقريبة؛ كانت له فيها عطايا وافرة ومرتّبات على أيدي وكلائه بها.

وكان لا يبعث عالماً إلى بلدٍ إلَّا وتعهَّدَ له بما يكفيه على مؤونة من المعونةِ، فكانوا ينشرون الدِّعايةَ الإلهيّةَ من غير استِماحةٍ لما في أيدي الناس.

وكانت هناك مسانهات سنويّة تقصده الوفّاد في كلّ عامٍ فيستوفونها منه، فكانت جملة ما يسديه ويغدقه على ذوي الفاقات وأهل العلم من مرتكز زعامته في السنة تُقَدَّرُ بنصف مليون تومانٍ ممّا يُجْبَى إليه من أَمْصار العالم.

وكانت له ثروة طائلة موروثة من آبائه الكرام بين رساتيق وضياع وحقول، أَنفقها أيَّام رئاسته الكبرى، فكان يُعطي منها من يَفِدُ إليه، ولا يرى مُنْتَدَحاً عن رَدِّهِ، ولا يجد مُسوِّغاً شرعيّاً لإعطائه من بيت المال. على ذلك طوى أيّامه حتّى لم يُبْقِ له الجُودُ ثاغيةً ولا راغيةً[1]، عدا طوائف لا تُذكَرُ؛ شأنَ سلفه الطاهر، حماةِ الحقائق من هاشم.

---

(١) الثاغية: الشاة. والراغية: الناقة. يقال لمن ليس له شيءٌ: ما له ثاغية ولا راغية.

أخذنا هذه الجُمَلَ الأخيرةَ من خلفه الصالح آية الله السيّد الميرزا علي آقا قُدِّس سرّه.

كان عطاؤه الجزل بتلكم الأموال الطائلة مشفوعةً بالتحفّظ على كرامات الرجال، والإبقاء على شرفهم، مكلَّلاً بِبَشَرَةٍ زاهيةٍ، وانبساطٍ إليهم، حتّى كأنَّ القابضَ للمال يتسلّمه من أبيه، والمُسْتَمِيحَ له يستمنِحُ أرأفَ حامَّتِهِ[1] به.

حكى العلّامة الورع الشيخ علي رفيش النجفي[2] قدّس سرّه، قال: تُوفِّي رجلٌ من الفقراء من أهل المِهَنِ الضعيفة، وكان من المجهولين عند العامّة، وخلّف أَيتاماً مع زوجته في أشدّ الأحوال، فأنهيتُ إلى السيّد المترجَم له قصّتهم، فأعطاني كمّيّة من الدراهم لأدفعها لهم.

قال: فقصدتهم ليلاً، فلمّا صرت بمقربة من الدار أحسست برجل خرج منها، فشبّهت ملامحه بالسيّد المترجم له، ولم أُحقّقه في أثناء الظلام، فأتيته من الغد وأخبرته بها، وسألته متعجِّباً عن معرفته بهم مع جهالتهم؟

فقال: وهل في البلاد فقيرٌ لا أعرفه؟!

وسألته عن الوجه في إعطائه إيّاي مع علمه بحالهم وإنفاقه عليهم؟

فقال: أردتُ أن لا أُخيِّبك وقد جئتني وأنت أنت، ولا مانع من العطائَيْنِ.

وربّما كان الجهل يحدو بصاحبه إلى النيل منه في كتاب منه إليه، فيأتيه الجواب بإنجاح طَلِبَتِهِ من غير أيّ إشارة إلى تفريطه إلى جنبه، فيرتدع عنه بهاتيك الحكمة العَمَلِيّة.

---

(١) الحامّةُ: خاصّة الرجل من أَهله الذين يهتمّ لهم.

(٢) الشيخ علي رفيش مترجم في الديوان عند رثائه في حرف النون.

ولو ذهبنا إلى سرد الكيفيّات المأثورة عنه في الكرم، والنوادر المشهودة منه التي هي آيات أو كرامات، لجاء منها كتاب ضخم، وإنّما أوعزنا إلى شيءٍ يرجع إلى الوجهة الأخلاقيّة ليكون فيه أُسوة للعلماء، وطريقاً مهيعاً للزعماء.

لم يك سيّدنا المجدِّد ـ قدّس سرّه ـ يقتنع من تلمذته المجتهدين الأعاظم بطيِّ مراحل العلم فحسب، حتّى يتدرّجوا في مدارج الأخلاق والتهذيب، والتحلّي بدَماثَةِ الطِّباع، وسَجَاحةِ الضَّرائِبِ[1]، حتّى يكونوا دعاةً إلى الله بأفعالهم قبل أقوالهم، قادة إلى الخير والسعادة بنفسيّاتهم الكريمة، فكلٌّ منهم كان على حدّ قول القائل[2]:

[من الكامل]

مَنْ تلقَ منهُم تلقَ كَهْلاً أَو فتًى عَلَمَ الهُدَى بَحْرَ النَّدَى المَوْرُودا

وكان قد أمر بتلاوة شيء من نهج البلاغة كلّ يوم قبل الدرس، وكان يقرؤُهُ العلّامة الفقيه الشيخ حسن علي الطهراني، الزعيم الروحي الكبير بالمشهد الرضوي ـ على مشرّفه السلام ـ من أعاظم تلمذته، يتلو تلكم الكَلِمَ الدُّريّة على رؤوس الأشهاد في منتدى ومجمع ممّن كان يبغي بهم الإمام المجدِّد أن يكونوا خلفاءه في كَلاءة نواميس الدِّين الحنيف، ونشر معارفه بالعلم والعمل والقول والفعل، فيتروَّون في هاتيك التعاليم الكافلة بسعادة البشر، الكافية لتهذيب النفوس وتنزيهها عن مُشوِّهات الشَّراسة والشَّرَهِ، فيأخذ كلٌّ منها نصيبه الأوفى.

---

(١) السجاحة: اللين والسهولة. الضَّرائب: جمع الضَّريبة، وهي الطبيعة والسجيّة.

(٢) هو الحاج هاشم الكعبي. وانظر البيت في ديوانه: ٤٥.

وكانت له وراء ذلك تمارين وتدريبات في غضون كلماته، وأثناء مفاوضاته وخلال أعماله، تربو بأصحابه إلى أَوْجِ العظمة، وتُسْلِكُها مع النفوس المطمئنّة، فلا يتخرَّج الطالب من هذه المدرسة الكبرى إلَّا ومِلْءُ عِيابِهِ[١] علمٌ وتُقى، ومَزِيجُ نفسِهِ عَفافٌ وورعٌ، وخِدْنُ عقليّته هِمَمٌ وأخلاقٌ مرضيّةٌ، يرفُّ عليه لواءُ العبقريّة، ويرفرف على رأسه النبوغ والبراعة.

وناهيك بيّنةً على صدق هذه الدعوى الفطاحلُ الَّذين طار صيتهم، وسار بأخبارهم الركبان، ممّن قُصِرُوا في أَخْذِ العلم على سيِّدنا المترجم لهُ، أو أنّه عمدة من أخذوا عنه وبه تمّت دروسهم العالية، من أوعية العلم الراسخين فيه، كجُمْلَةٍ ممّن سبقت الإشارة إليهم مثل:

السيّد محمّد الطباطبائي الإصفهاني[٢].

والحاج آقا رضا الهمداني[٣].

والمولى محمّد كاظم الخراساني[٤].

والسيّد محمّد كاظم الطباطبائي اليزدي[٥].

والميرزا إبراهيم [المحلّاتي] الشيرازي[٦].

والحاج حسن علي الطهراني[٧].

---

(١) العِياب: جمع العَيبة، وهي وعاءٌ من أَدَم يكون فيه المتاع.

(٢ ـ ٥) ترجم في باب المجاميع (الحدائق ذات الأكمام) من هذه الموسوعة.

(٦ و٧) تقدّم ذكره.

والشيخ فضل الله ـ الشهيد ـ النوري[١].

والحاج الميرزا حبيب الخراساني[٢].

والشيخ حسن الكربلائي[٣].

والسيّد إبراهيم الدامغاني[٤].

والمولى علي الروزدري[٥].

والميرزا مهدي الشيرازي[٦].

والسيّد هاشم آل بحر العلوم النجفي[٧].

وإليك أسماء لم نوعز إليها هنالك:

كآية الله الإمام الميرزا محمّد تقي الشيرازي[٨].

ومربّي العلماء وموئلهم السيّد إسماعيل ابن عمّ الإمام المجدِّد[٩].

والسيّد إسماعيل الصدر العاملي الإصفهاني[١٠].

والسيّد عبدالمجيد الكروسي[١١].

---

(١) تقدّم ذكره.

(٢ و٣) تقدّم ذكره، وقد ترجم ـ أيضاً ـ في باب المجاميع من هذه الموسوعة.

(٤ ـ ٧) تقدّم ذكره.

(٨) الإمام الشيرازي مترجم في باب المجاميع (الحدائق ذات الأكمام) من هذه الموسوعة.

(٩) السيّد إسماعيل الشيرازي مترجم في هذا الكتاب، وفي باب المجاميع (الجوهر المنضّد) من هذه الموسوعة.

(١٠) السيّد إسماعيل الصدر مترجم في باب المجاميع من هذه الموسوعة.

(١١) عبدالمجيد الكروسي، من أجلّاء تلاميذ السيّد المجدِّد. وتتلمذ على السيّد حسين

والمولى علي الدماوندي[١].

والسيّد إبراهيم الدرّودي الخراساني[٢].

والحاج الميرزا أبي الفضل الطهراني[٣].

والشيخ إسماعيل الترشيزي[٤].

والشيخ علي الخاقاني النجفي[٥].

والحاج المولى أبي طالب السلطان آبادي[٦].

الكوهكمري، والميرزا حبيب الله الرشتي في النجف، ثمّ هاجر إلى همدان وصار مرجعاً ورئيساً فيها. توفّي في همدان قُربَ العشرين بعد الثلاثمائة وألف. انظر هدية الرازي: ١١٧. أقول: وفاتُهُ سنة ١٣١٩.

(١) الشيخ علي الدماوندي، من الأجلّاء الأخيار، حضر درس الشيخ الأنصاري، والسيّد حسين الكوهكمري، وكتب تمام مباحث الأُصول له، ثمّ هاجر إلى سامرّاء وحضر درس السيّد المجدِّد. توفّي سنة ١٣٠٤، ودفن في صحن الإمام الكاظم عليه السلام. انظر هدية الرازي: ١٢١.

(٢) السيّد إبراهيم الدرّودي الخراساني، من تلاميذ السيّد المجدِّد، وكان له درسٌ، وكان من الأتقياء. وبعد وفاة السيّد المجدِّد سنة ١٣١٢ هاجر إلى بلدة الإمامين الكاظمين عليهما السلام، وصار مرجعاً للخاصّة والعامّة. انظر هدية الرازي: ٤٨. وذكر شيخنا الرازي في نقباء البشر ١: ٢٠ وفاته في الكاظميّة ١٣٢٨.

(٣) الميرزا أبوالفضل الطهراني، مترجم في «سبائك التبر»، كما سيأتي في هذا الكتاب.

(٤) الشيخ إسماعيل الترشيزي، كان من المجتهدين المروّجين القائمين بجميع الوظائف الشرعيّة، في مشهد الإمام الرضا عليه السلام. توفّي بعد سنة ١٣٢٠. النقباء ١: ١٤٤.

(٥) الشيخ علي الخاقاني، مترجم في باب المجاميع من هذه الموسوعة.

(٦) الشيخ الحاج أبوطالب السلطان آبادي، كان في النجف الأشرف من طلّابها، وفي سامرّاء

والحاج الميرزا حسين السبزواري[١].

والمولى محمّد تقي القمّي[٢].

والشيخ علي المقدَّس الرشتي[٣].

وأُستاذ فلاسفة العصر الميرزا محمّد باقر الاصطهباناتي[٤].

والسيّد محمّد شرف البحراني نزيل ميناء لنجة[٥].

والشيخ عبّاس الشيخ حسن آل كاشف الغطاء النجفي[٦].

➲ حضر درس السيّد المجدِّد سنين، ثمّ ذهب إلى «سلطان آباد» في حياة أُستاذه. وله تصانيف، وتوفّي ١٣٢٩. انظر هدية الرازي: ٥٥.

(١) السيّد الميرزا حسين السبزواري، هاجر إلى النجف الأشرف ثمّ إلى سامرّاء مستفيداً من بركات السيّد المجدِّد ما يقارب خمس سنين، وهو جامع المعقول والمنقول. انظر هدية الرازي: ٩٠. توفّي سنة ١٣٥٢. انظر النقباء ٢: ٥٦٩.

(٢) المولى محمّد تقي القمّي، من قدماء تلاميذ السيّد المجدِّد في النجف وسامرّاء حتّى صدرت له الإجازة بالاجتهاد. انظر هدية الرازي: ٧٥. وفي تكملة أمل الآمل ٥: ٢٧٠ يذكر وفاته في مدينة قم في أوائل الثلاثمائة بعد الألف.

(٣) الشيخ علي الرشتي: جاء في نقباء البشر من الطبقات ٤: ١٣٠٢ ـ الترجمة (١٨١٣): كان من الفقهاء، قرأ في النجف على الشيخ حبيب الله الرشتي، وكتب من تقريراته وبلغ درجة سامية في العلم، ثمّ عاد إلى «رشت» فقام بوظائف الشرع إلى أن توفّي بها سنة ١٣١٠.

(٤) الشيخ محمّد باقر الإصطهباناتي الشهيد، عالم كبير وحكيم جليل، مترجم في حرف الراء من الديوان من هذه الموسوعة.

(٥) السيّد محمّد شرف البحراني مترجم في باب المجاميع من هذه الموسوعة. وميناء لنجة هو المعروف عند الفرس بـ«بندر لنگه».

(٦) مترجم في باب التراجم من هذه الموسوعة.

والسيّد إسماعيل العقيلي النوري[١]، شارح «نجاة العباد».

والحاج الشيخ عبد النبي النوري[٢]، نزيل طهران.

والأمير السيّد حسين بن صدر الحفّاظ القمّي[٣].

والشيخ محمّد صادق الشيرازي[٤].

والحاج الشيخ محمّد الباقر القايني نزيل برجند[٥].

والعلّامة ثقة الإسلام الحاج الميرزا حسين النوري[٦].

والشيخ محمّد التقي القزويني التنكابني[٧]، ولأُستاذه في أمره كرامةٌ باهرةٌ.

---

(١) مترجم في باب التراجم من هذه الموسوعة.

(٢) الشيخ عبد النبي النوري، تشرّف إلى سامرّاء سنة نيّف وثلاثمائة وألف، وتوقّف بها قرب خمس سنين، ثمّ عاد إلى طهران، وكان بها من أعاظم العلماء الرؤساء في وقته، توفّي سنة ١٣٤٤. انظر نقباء البشر من الطبقات ٣: ١٢٤٢ ـ الترجمة (١٧٦٨).

(٣) السيّد حسين بن صدر الحفّاظ القمّي مترجم في باب المجاميع من هذه الموسوعة.

(٤) الشيخ محمّد صادق الشيرازي مترجم في باب المجاميع من هذه الموسوعة.

(٥) الشيخ محمّد باقر القائني مترجم في باب المجاميع من هذه الموسوعة.

(٦) الشيخ حسين النوري مترجم في باب المجاميع من هذه الموسوعة.

(٧) الشيخ محمّد تقي القزويني التنكابني: جاء في نقباء البشر من الطبقات ١: ٢٣٩ ـ الترجمة (٥١٩): عالم جليل، ومصنّف فاضل، كان بسامرّاء من تلاميذ السيّد المجدِّد الشيرازي والسيّد إسماعيل الصدر، وذهب إلى قزوين في حياة المجدِّد، ثمّ رجع إلى كربلاء بعد وفاته سنة ١٣١٢، بأمر من أُستاذه الصدر، وكان مرجعاً للأُمور بها، توفّي حدود سنة ١٣٢٢.

والشيخ محمّد حسن الناظر الطهراني[١].

والشيخ محمّد الحسين ابن الشيخ محمّد الباقر ابن الشيخ محمّد التقي الإصفهاني النجفي[٢].

والمولى محمّد حسين الفشاركي الإصفهاني[٣].

والحاج فاضل الخراساني[٤].

والحاج المولى غلام رضا القمّي[٥].

---

(١) الشيخ محمّد حسن الناظر الطهراني، كان من تلاميذ السيّد المجدِّد في النجف، وكان مُجازاً في الاجتهاد. انظر هدية الرازي: ٥٨. توفّي حدود سنة ١٣٢٠. النقباء ١: ٤٢٠.

(٢) الشيخ محمّد حسين بن محمّد باقر الإصفهاني النجفي ابن الشيخ محمّد تقي ـ محشّي «المعالم» ـ ولد سنة ١٢٦٦، وتتلمذ على السيّد المجدِّد في النجف، وتوفّي فيها سنة ١٣٠٨، ودفن في مقبرة العلماء. انظر هدية الرازي: ٨٧.

(٣) الشيخ محمّد حسين الفشاركي، أخو المولى باقر الفشاركي الإصفهاني والقائم مقامه في التدريس والإمامة وسائر الوظائف الشرعيّة، توفّي سنة ١٣٥٣. انظر نقباء البشر من الطبقات ٢: ٥٥٧ ـ الترجمة (٩٧٧).

(٤) الحاج فاضل الخراساني، واسمه محمّد علي ابن المولى علي الخراساني، كان من الأجلّاء، هاجر إلى سامرّاء سنة ١٢٩٨ مستفيداً من بحث السيّد المجدِّد خمس سنين. توفّي في المشهد المقدّس الرضوي سنة ١٣٤٢. انظر هدية الرازي: ١٣٢.

(٥) المولى غلام رضا القمّي، من أعاظم الأعيان، كان تلميذ الشيخ الأنصاري والسيّد المجدِّد أيضاً في النجف الأشرف، ثمّ ذهب إلى «قم» وصار رئيساً هناك. له حاشية على رسائل الشيخ الأنصاري قدّس سرّه (مطبوعة)، توفّي في قم سنة ١٣٣٢. انظر هدية الرازي: ١٠١.

والسيّد مرتضى الكشميري[١].

والسيّد مهدي ابن السيّد محمّد آل بحر العلوم النجفي[٢].

والسيّد هاشم القزويني الحائري[٣].

إلى غير هؤلاء ممّن تركنا ذكرهم رَوْماً للاختصار، أو لعدم الوقوف على تراجمهم على التفصيل، أو لأنّهم ليسوا من طبقة مَن ذكرناهم، أو لأنّهم كانوا قبله من تلمذة الإمام الأنصاري قدّس سرّه ثمّ التحقوا به، أو أنّهم مشاركون في الأخذ والتلمذة بين أساتذةٍ أحدهم سيّدنا المترجم له. ولو ذهبنا إلى سرد أسمائهم لخرجنا عن الموضوع، فقد اتّصل به إبَّانَ رئاسته الكبرى قاطبةُ الأفاضلِ والعلماءِ، واستفادوا منه، ولِكُلٍّ ممّن ذكرناهم ترجمة ضافية، وكتب قيّمة، ومآثر زاهية، وآثار خالدة، تشهد له بالبراعة والتقدّم، نضربُ عنها صفحاً.

---

(١) السيّد مرتضى الكشميري النجفي الموطن النجفي الموطن والحائري المدفن، المتوفّى ١٠ شوّال ١٣٢٣، وهو من أوائل المهاجرين إلى سامرّاء، وتوقّف فيها سنين مستفيداً من السيّد المجدِّد، وكان في غاية الورع والزهد. انظر هدية الرازي: ١٥٢.

(٢) السيّد مهدي بن محمّد بحر العلوم ابن السيّد محمّد تقي ابن السيّد رضا ابن آية الله بحر العلوم، كان في سامرّاء ثلاث سنين، وهو من أجلّة الفضلاء المشتغلين، ورجع إلى النجف، وتوفّي قبل وفاة والده بسنين. انظر هدية الرازي: ١٥٥.

(٣) السيّد هاشم القزويني الحائري ابن السيّد محمّد علي الموسوي، كان من تلاميذ السيّد المجدِّد في النجف سنين، وأدرك بحث الشيخ الأنصاري أيضاً، وصاحب «الضوابط» أيضاً وهو ابن عمّه، وصار مرجعاً في كربلاء، وله تصانيف كثيرة، ولد قبل وفاة والده بستّة أشهر سنة ١٢٤٤، وتوفّي سنة ١٣٢٧. انظر هدية الرازي: ١٦٧.

[مؤلّفاته]

ولَئِنْ قَلَّ ما أفرغه سيّدنا المترجم له في قالب التأليف، فَلِكُلٍّ من هؤلاء الّذين ربّاهم كتابُ نفسٍ كريمةٍ خَطَّ فيه العلمَ الجمَّ، والورعَ الموصوفَ، والخُلُقَ الجميلَ، والهممَ العاليةَ، مستقاةً كلّها من ذلك التيّار المتدفّق، والعُباب المُفْعَم، وقد ذكّرناك بصحف ذهبيّة لفريق منهم هي أوعية أنظاره.

وهنالك كتابات أُخرى لم تصل إليها يد البحث الفعليّ المُسْتَعْجِلَةُ، ولمن ذكرناهم تآليفُ غيرها اهتدوا إليها بفضل تعاليمه الراقية.

وأمّا هو ـ قدّس سرّه ـ فكان كُلّما كتب شيئاً وجد من نفسه الطموحَ إلى ما هو أرقى منه ولا يروقه شيء من ذلك، فيشطب على ما يكتب، فلم تُبْقِ له نفسُهُ الشَّمَّاءُ أكثرَ ما دوّن. وكذلك الحال في كثيرين من نوابغ العلماء الّذين قلّت تأليفاتهم: كآيةِ الله السيّد بحر العلوم الطباطبائي[1] المتوفّى ١٢١٢، والشيخِ

---

(١) هو السيّد محمّد مهدي ابن السيّد مرتضى ابن السيّد محمّد ... إلى آخر نسبه الزاهي الذي ينتهي إلى السيّد إبراهيم الغمر ابن الحسن المثنّى ابن الإمام الحسن ابن الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهما السلام.

الأكبرِ كاشف الغطاء[١] المتوفّى سنة ١٢٢٨، ومثالِ الفقه والتُّقى السيّد الميرزا مهدي الشهرستاني[٢] المتوفّى سنة ١٢١٦، وأُستاذِ المجتهدين شريف العلماء المازندراني الحائري[٣] الّذي كان يحضر بحثه ألف من العلماء والفضلاء في كربلاء المشرّفة، إلى غيرهم ممّن حذا حذوهم، وسلك مسلكهم.

والباقي من آثار يراعة سيّدنا المجدِّد:

رسالة في اجتماع الأمر والنهي، رسالة في الرضاع، كتاب الطهارة إلى مباحث

➲ ولد في كربلاء سنة ١١٥٥، وتوفّي كما في الأصل. لقد اعترف عامّة علماء عصره والمتأخّرين عنه بعظمته العلميّة وجلالته، وشخصيّته العملاقة في أُفق التاريخ الإسلامي. راجع مقدّمة رجال بحر العلوم لتجد الكثير من الثناء عليه والتقدير لمقامه الشامخ.

(١) الشيخ جعفر ابن الشيخ خضر الجناجي النجفي، هو شيخ الفقهاء في عصره، وزعيم الإماميّة، ومرجعها الأعلى، وشهرته تغني عن المزيد في ترجمته. ولد سنة ١١٥٦، وتوفّي كما في الأصل. وللوقوف على ترجمته يراجع: العبقات العنبريّة، والحصون المنيعة، وأعيان الشيعة، وطبقات أعلام الشيعة.

(٢) السيّد مهدي الشهرستاني، هو من سلالة علويّة عريقة، أسندت إلى كثير من أفرادها الصدارة في الدولة الصفويّة، ويرتقي نسبه إلى إبراهيم المرتضى ابن الإمام موسى الكاظم عليه السلام. وهو من تلاميذ الشيخ الوحيد البهبهاني، والشيخ يوسف البحراني صاحب «الحدائق»، وله مؤلّفات منها: «الفذالك في شرح المدارك».
ولد حوالي سنة ١١٣٠ في إصفهان، وتوفّي في كربلاء ١٢ صفر ١٢١٦، ودفن بجوار قبور الشهداء. انظر أعيان الشيعة ١٠: ١٦٤.

(٣) الشيخ شريف العلماء، مترجم في باب المجاميع من هذه الموسوعة كما تقدّم. توفّي سنة ١٢٤٦.

الوضوء، كتاب المكاسب إلى آخر المعاملات، وكتاب في الأُصول لخّص فيه ما أفاده شيخُهُ الإمام الأنصاري.

وذكر العلّامة السيّد حسن صدر الدين الكاظمي: أنّه رأى عنده كراريس فيها مسائل تتعلّق ببعض تحقيقات الشيخ الأنصاري، وتحتها خطّ الشيخ فيه جواب وتحقيق، وتحته خطّه ـ قدّس سرّه ـ فيه الجواب عمّا حقّقه الشيخ. وكانت كلّها بخطّهما على هذا النحو.

وحكى عنه سيّدنا الصدر: أنّ الشيخ قدّس سرّه في أواخر أيّامه التمس منه النظر في رسائله الأربع وتهذيبها وإصلاحها، وكرّر عليه الطلب فلم يفعل احتراماً للشيخ.

وله حواشٍ فتوائيّة على «نجاة العباد» لصاحب «الجواهر»، و«النخبة» للمحقّق الكلباسي[1]، ورسالة الشيخ الأنصاري، وعلى كلّ رسالة علّق عليها الشيخ الأنصاري، ومناسك الحجّ، ورسائل غيرها لعمل المقلّدين.

وكانت هناك كتابات كثيرة يخطّها كلّ يوم أو ليلة قبل الدرس تذكرةً له في تحقيق عويصات الفنّ، ثمّ لا يبرزها إلى أيّ أحد حتّى يَرْمي بها في الدَّجْلَة!!

---

(١) هو الشيخ محمّد إبراهيم بن محمّد حسن الخراساني الإصفهاني الكاخي الكلباسي، من أعاظم علماء عصره المشاهير، ولد سنة ١١٨٠، وأدرك الوحيد البهبهاني، والسيّد مهدي بحر العلوم، والشيخ كاشف الغطاء، ومؤلّف «الرياض»، والمقدّس الكاظمي، فأخذ منهم علماً جمّاً، ثمّ رجع إلى مدينة قمّ واشتغل بها على المحقّق القمّي مؤلّف «القوانين»، وله مؤلّفات كثيرة. توفّي سنة ١٢٦١. انظر الكرام البررة من الطبقات ١: ١٤ ـ الترجمة ٢٥ وهي ترجمة غنية بالفوائد.

[طبقات العلماء من تلامذته]

وبما أنّ دروس سيّدنا المجدّد ما كان يستفيد بها إلّا المنتهي والفنّيّ الضليع، كانت هنالك حلقاتٌ أُخرى للتدريس؛ لفطاحل العلماء من تلاميذه، يلقون فيها تلكم الحقائق الناصعة بوجه أبسط، أو يتدرّجون في الإفاضة ريثما تتكامل قوى التلاميذ، وتتدرّج مُنَّتُهُمْ[1]، وأُولئك المدرّسون للصفوف المتأخّرة هم الآيات الأعلام: السيّد الميرزا إسماعيل ابن عمّ سيّدنا المجدِّد، والسيّد محمّد الإصفهاني[2]، والميرزا محمّد تقي الشيرازي، والميرزا إبراهيم الشيرازي[3]، والشيخ حسن علي الطهراني، والسيّد إسماعيل الصدر، إلى أمثالهم أو من هو دونهم ممّن يطول بذكرهم المقام.

[الفلسفة]

وفي القوم أساتذة الفلسفة العالية، يدرِّسون الفنّ الأعلى على ما كان لهم من

---

(١) المُنَّة: القُوَّة.

(٢) الفشاركي.

(٣) المحلّاتي.

دراسة العلوم الدينيّة وتدريسها: كالعلّامة الميرزا محمّد باقر الإصطهباناتي الشيرازي، والحاج الميرزا حسين السبزواري، والشيخ محمّد صادق الشيرازي، والحاج الشيخ عبدالنبي النوري، والميرزا إبراهيم الشيرازي، والحاج فاضل الخراساني، وغيرهم.

[علم الحديث]

وطبقة أُخرى من عباقرة العلماء طفقوا على علمهم الغزير ينشرون علم الحديث، ويحيون آثار آل محمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ بما يملكونه من حَوْلٍ وطَوْلٍ، ولقد وفّقهم المولى سبحانه من ذلك بالشيء الكثير:

فمنهم: العلّامة الأكبر ثقة الإسلام الحاج الميرزا حسين النوري؛ صاحب التآليف الجمّة الحديثيّة: كـ«مستدرك الوسائل»، و«نفس الرحمان»، و«النجم الثاقب»، و«دار السلام»، و«كشف الأستار»، و«الكلمة الطيّبة»، و«اللؤلؤ والمرجان»، و«ميزان السماء»، و«الصحيفة الرابعة السجاديّة»، و«الثانية العلويّة»، و«جنّة المأوى»، و«معالم العبر»، و«تحيّة الزائر»، و«البدر المشعشع»، المطبوعة كلّها، وغيرها. وكلٌّ منها نَسِيجُ وَحْدِهِ في موضوعه، وتوفّي سنة ١٣٢٠.

ومنهم: العلّامة البارع المشارك في العلوم، العالم الشاعر، الحاج الميرزا أبوالفضل الطهراني ابن العلّامة المحقّق الحاج الميرزا أبي القاسم كلانتر صاحب التقريرات، فهو كأبيه النَّيْقَد الكبير، مجتَمَع الفضائل، ومُنْبَثَق أنوار العلم، وله كتاب «شفاء الصدور»، و«مكارم الأخلاق»، و«مشارق الشموس» ـ وكلّها

مطبوعة ـ و«ميزان الفلك»، «أُرجوزة في علم الهيئة»، و«ديوان شعره» العربي[١] و«ديوانه» الفارسي، إلى غيرها ممّا هي أوضاح وغرر على جبهة العصر الحاضر، توفّي سنة ١٣١٧.

ومنهم: العلّامة الحجّة السيّد حسن صدر الدين العاملي الكاظمي، صاحب شرح «نجاة العباد»،وشرح «الوسائل»، و«تأسيس الشيعة الكرام»، و«تكملة الأمل»، والكتب الكبيرة في الفقه وأُصوله، والعقائد والحديث.

وتبع القوم على تلك الخطّة القويمة العلّامة الورع الميرزا محمّد الطهراني ـ نزيل سامرّاء ـ إلى الوقت الحاضر، المُرَبَّى في دار سيّدنا المجدِّد بتعاليمه السَّنِيَّة، المولود سنة ١٢٨١، صاحب «مستدرك البحار»، و«الصحيفة المهدويّة» وغيرهما، وصاحب المكتبة العامرة التي فيها ما تشتهيها الأنفس، وتلذُّ الأعين[٢].

[علماء الأخلاق]

وأمّا الأخلاق فكلٌّ من خرِّيجي هذه المدرسة له فيها خطوات واسعة، ولهم في السلوك في سننها اللَّاحب أشواطٌ بعيدة، مُقْتَفِينَ أَثَرَ ذلك العَلَم الخَفَّاقِ بالعلم والأخلاقِ وتهذيباته القوليّة والفعليّة. وتليه في ذلك بِطانتُهُ الأقدمون، وفي الطليعة منهم ابنُ عمِّه العلّامة الحجّة، عيلمُ العلم، ومنارُ الأدب، وشارةُ الهُدى، وكهفُ التُّقَى، السيّد الميرزا إسماعيل ـ قدِّس سرّه ـ.

---

(١) وهو مطبوع أيضاً.

(٢) توفّي في ٢٨ جمادى الأُولى سنة ١٣٧١ في سامرّاء، ودفن في رُواق الإمامين العسكريّين عليهما السلام.

وكان من المقرّر لدى الكُلّ أنَّ المتخلِّف عن جَدَدِ الطَّريق في ذلك يُفصَلُ عن مجتمعهم، ويجب أن يُخْرَجَ من مدرستهم، فتبقى عليه شِيَةٌ[١] من الأَحقاب.

وكان مع ذلك كلّه بين ظَهْرانَي القوم الأخلاقيُّ الأكبر، صاحب المقامات والكرامات الباهرة، الحاج المولى فتح علي السلطان آبادي[٢] ـ المتوفّى في حدود سنة ١٣١٨، المترجَم في «دار السلام» للعلّامة النوري، وذكر فيه شيئاً من كراماته وخلائقه الرصينة ـ يستضيئون بأنوار تهذيبه، ويقتبسون من هديه وهداه، ويقتصّون أثره في ترويض جماح النفس، وتمرينها على المثابرةِ والدُّؤُوب على التقوى، والتجنُّب عن شهواتها المردية، وكبحها عن مساقط النَّهْمَةِ والشَّرَةِ، والسير بها إلى أَوْجِ العظمة، وثَبَجِ[٣] القداسة الأرفع.

هكذا كان هذا العَلَمُ المفردُ يُفِيضُ على المجتمع من فواضل نفسيّاته الكريمة، ويُثقِّفُ العقليّات، ذاهباً بها إلى حيث جَمامُ[٤] النفس وسَعادتُها الخالدة، ومَتْجَرُها الرابح، وقِدْحُها الفائز، وسَهْمُها المعلّى، ونصيبُها الأوفى.

---

(١) الشِّيَة: العلامةُ والنَّقْشُ والأَثَرُ الباقي.

(٢) الشيخ فتح علي السلطان آبادي: ذكره شيخنا الطهراني في هدية الرازي: ١٣٧ وقال: إنّه من أوائل المهاجرين إلى سامرّاء، وكان فيها إلى وفاة السيّد المجدِّد، ثمّ تشرّف إلى الحائر، وبعد ذلك توفّي وحمل إلى النجف الأشرف، ودفن في الحجرة الواقعة على يمين الداخل إلى الصحن الشريف من باب العمارة رقم (٣).

(٣) ثَبَجُ الشيء: أعلاه، وأَثباجُ الآكام: أعاليها.

(٤) الجَمامُ: الرَّاحةُ.

[التفسير]

وكان له ـ علاوةً على ذلك كلّه ـ حلقاتٌ تعقد يُفيدُ الحاضرينَ فيها مباح من تفسير الكتاب العزيز على ما لم يسبقه إليه سابق، ولا من مُنَّةِ[1] لاحقٍ يلحقَهُ، فيذكر في الآية الواحدة وُجوهاً من التفسير متكثّرة قد تبلغ العشري وقد تربو عليها، فيحسب السامع في كلٍّ منها أنّه هو تفسير الآية لا غيره، سمع الّذي يليه وَجَدَهُ كسابقه في الانطباق، وهكذا إلى أن يأتي إلى آخرها.

ثمّ يأتي من غدٍ فينقضها أجمعَ بما لا نُدْحَةَ للعالم النَّيْقَدِ عن الإذعان ب ويذكر وجوهاً أُخرى تُخْبِتُ لكلٍّ منها القلوبُ، وقد استفاضَ نقلُ هذا وأم منه قُدِّس سِرُّه.

وكان هناك العلّامة المولى الدماوندي المتوفّى سنة ١٣٠٤، صهر العـ الأوحد السيّد عزيز الله الطهراني[2]، أحد تلمذة سيّدنا المترجَم لهُ، وكان م المدرّسين، غيرَ أنَّ عمدة غرضه من الاجتماع هو التهذيب والعظات البالغة

وفي أُخرياته صرف همَّه إلى علوم القرآن، والرُّجوع إلى أحاديث أهل الب عليهم السلام، حتَّى وافاه حِمامُهُ قَدَّس الله رُوحَهُ.

---

(١) المُنَّة: القُدْرة.

(٢) السيّد عزيز الله ابن السيّد أسد الله الطهراني، فقيه كبير وحبر ثبت، هاجر إلى سامرّاء سنة هجرة السيّد المجدِّد ١٢٩٠ وحضر دروسه، وكان لا يملّ من البحث في العـ الدينيّة، وتوفّي سنة ١٣١٣، وحمل إلى النجف الأشرف ودفن في الصحن الشريف. نقباء البشر ١٢٦٦٠٣ الترجمة (١٧٨٥).

وكان ممّن سلك مسلكه في الأخلاق، وبرع بتهذيبه، العلّامة الكبير الحاج الشيخ حسن علي الطهراني، السّابق ذكره.

وكان المولى زمان المازندراني[١] ـ المتوفّى في حدود سنة ١٣٢٢ ـ من أجلّاء العلماء والزهّاد الذين يُقْتَدى بفعالهم، دائم الصيام، وقد نذر الصوم في السفر والحضر، ولا يستعمل شيئاً في الصلاة والأكل والشرب إلّا الطاهر الواقعي، وبات ليلةً في الحرم العسكري المقدّس بأمرِ الإمام المجدِّد لاستكشاف سِرٍّ من الأسرار، وفي «الكلمة الطيّبة» للعلّامة النوري شطرٌ من كراماته وأحواله، وكان شريك البحث مع السيّد إبراهيم الدرّودي، والشيخ إسماعيل الترشيزي.

[فنّ القراءة والتجويد]

وكان من أساتذة فنّ القراءة، وتجويد القرآن الكريم، القارئُ الفذُّ السيّد حسين الهندي[٢]، المتوفّى سنة ١٣٣٤، ذلك الفَنِّيُّ الَّذي كان إذا رتّل حروف

---

(١) المولى زمان المازندراني: قال الإمام الطهراني في الطبقات ٢: ٧٩٢ ـ الترجمة (١٢٩٠): كان من أعاظم الفقهاء، وأكابر العلماء، ومشاهير الصلحاء والأتقياء، ومن رجال الدين الأبدال. ثمّ استمرّ الإمام الطهراني في ذكر مآثره وعباداته والتزامه بالصوم في الحضر والسفر لنذر نذره على نفسه، ثمّ ذكر هجرته إلى سامرّاء وحضوره درس السيّد المجدِّد الشيرازي، ووفاته في الكاظميّة ودفنه في الرواق.

(٢) السيّد حسين ابن السيّد رضا علي الطبيب الهندي القارئ، المعروف بالإمامي، عالم فاضل وأديب شاعر، كان من أهل العلم والفضل والأدب والتُّقى، كما كانت له يد طولى في علم الطّبّ أيضاً، لأنّ والده من حُذّاق أطبّاء الكاظميّة في عصره، وهو من تلاميذ السيّد هادي الصدر والد السيّد حسن. انظر نقباء البشر ٢: ٥٨٥ ـ الترجمة (١٠٠٩).

القرآن وتلا آياته صَبَتْ إليهِ القُلُوبُ، وأصاخت إليه الأفئدة، وكادت أن تَنْزِعَ إليه قبل الأسماع، ولقد حضره القُرّاءُ الأخصّائيُّون، فاعترفوا له بالفضيلة والتقدّم، والرَّجُلُ طائر الصيت في فَنِّه، وقد ذكره العلّامة الحجّة السيّد عبدالحسين شرف الدين الموسوي العاملي في «أجوبة مسائل جار الله» المطبوعة.

[الأدب والأُدباء]

وأمّا الأدب وقرض الشعر العربي والفارسي، فكان في سامرّاء يومئذٍ صاغَةُ القول وصَيارِفَةُ الشِّعر، وقد أَرْبَتْ على بَقِيَّة مباءات الأدب بأنَّ الشُّعراءَ فيها علماءٌ أعلامٌ وفقهاء أعاظمُ وفلاسفة:

كالحجّةِ الباهرةِ السيّد الميرزا إسماعيل ابن عمّ سيّدنا المترجَم له؛ الشاعر باللِّسانَينِ، المُجِيدِ فيهما، وذكر بحّاثة آل كاشف الغطاء الشيخ علي ابن الشيخ محمّد رضا[1] في ترجمته من «الحصون المنيعة»: أنّه لو جُمِعَ شعرُهُ العربيّ لجاء منه ديوان.

وموشَّحتُهُ السائرةُ في مولد أمير المؤمنين عليه السلام منشورةٌ في مجلّة الرضوان الهنديّة، وكتاب «سفينة البحار» لثقة الإسلام الشيخ عبّاس القمّي[2]،

---

(١) الشيخ علي كاشف الغطاء صاحب «الحصون»، ترجم لهُ في سبائك التبر عند رثائه للسيّد المجدِّد في حرف الميم كما سيأتي.

(٢) الشيخ عبّاس القمّي ترجم في ملحق الحدائق ذات الأكمام ـ في (باب المجاميع) من هذه الموسوعة.

وكتاب «النُّزْهة» للشيخ جعفر النقدي[١]، وغيرها[٢]. وله غديريّة هي من أبرع ما نُظِمَ في موضوعها، وحسينيّة هي في طليعة المراثي، وغيرها. وله مطارحات أدبيّة مع شعراء وقته كالسيّد حيدر الحلّي[٣] وغيره.

والعلّامةِ الجهبذ الحاج الميرزا أبي الفضل الطهراني صاحب الديوانين العربي والفارسي، وله روائعُ في أهلِ البيتِ عليهم السلام، ومدائحِ أُستاذه المجدِّد عقودٌ ذهبيَّةٌ. وتُوجدُ جُمَلٌ من شعره في الديوان المجموع فيه ما قيل في سيِّدنا المترجم لهُ، وستأتي الإشارة إليه إن شاء الله تعالى. وله ترجمة حسنة في «الطليعة من شعراء الشيعة» للشيخ محمّد السماوي النجفي[٤]، وأبسط منها ما في أعيان الشيعة للسيّد الأمين العاملي[٥]، وله مطارحات مع شعراء عصره، يقال: إنّه كان يحفظ مائة ألف بيت من شعر العرب.

وآيةِ اللهِ الإمامِ الميرزا محمّد تقي الشيرازي[٦]، العَلَم الفذّ في العلم والتُّقى والأدب، أمّا شعره الفارسيّ ففي الطليعة العُليا منه، وأمّا العربي فمن النَّمَطِ

---

(١) الشيخ جعفر النقدي مترجم في حرف الميم من الديوان.

(٢) كالغدير، وشعراء الغري، ومَن تَرْجَمَ لسيّدنا المغفور له. وكما جاءَ ذكرها في هذا الكتاب.

(٣) السيّد حيدر الحلّي مترجم في حرف الألف من سبائِك التبر.

(٤) ذُكِرَ شيخنا السماوي في باب المجاميع (المجموعة الكبيرة) من هذه الموسوعة وفي سبائك التبر.

(٥) ذُكِرَ سيّدنا في سبائك التبر.

(٦) لشيخنا قدّس سرّه ترجمة خاصّة في باب التراجم من هذه الموسوعة.

الأوسط، وقصائدُهُ الكثيرةُ في عترةِ الوحي عليهم السلام الرَّنّانة من ذخائر الفضل والأدب، ويُجمَعُ منها مجموعٌ هو بيتُ القصيد بين لِداتِهِ.

وحامِلِ أعباء الفقه والفلسفة الميرزا إبراهيم ابن المولى محمّد علي المحلّاتي[1]، له قصائد جمّة رنّانة، لو تأمَّلْتَها لم تَدْرِ أَيُّها الدُّرُّ المُنَضَّدُ، وأَيَّتُها التِّبْرُ المُذابُ، فكلٌّ منها شرْوَى[2] صاحبتها في الزَّهو المتبلِّج، وعلى شاكلة الأُخرى في البداعة والبلاغة.

ومُنَضِّدِ لآلئِ الفقه والحديث، ثقةِ الإسلام الحاج الميرزا حسين النوري، صاحب ديوانه المطبوع على الحَجَر بإيران، السَّاحِبِ ذيلِ الفخر على الدُّرِّ، والمُزْرِي بِدراري ألفاظه المنسجمة ومعانيه الضخمة بالمجرَّةِ، على أنَّ الرجلَ نابغةُ فقهٍ وحديثٍ، وخِدْنُ وَرَعٍ وعَفافٍ، والغالبُ على أمثاله أن يكون بمُنْتَزَحٍ عن عالم الأدب.

وابنِ شقيقته شقيقِ العلم والتحقيق، الشيخ فضل الله النوري ـ الشهيد ـ ما وقفتُ على شعره إلّا وعلمتُ أنّ من القولِ سبائِكَ الذَّهب، فكان إذا عَقَدَ جُمانَ شعرِه أطربَ سَماعُهُ الناسكَ الزَّاهدَ، وأَبهَجَ مَرْآهُ العالِمَ الضَّليعَ، ولقد رأيت كمّيَّةً منه لا يُستهان بها في أهل البيت عليهم السلام مَدْحاً ورِثاءً.

والعالِمِ العارفِ الفقيه الحكيم الزعيم السيّد الميرزا حبيب الخراساني،

---

(١) ترجم شيخنا المحلّاتي الشيرازي في باب المجاميع (الحدائق ذات الأكمام) من هذه الموسوعة.

(٢) شَرْوَى: مِثْل.

صاحب ديوانه المخطوط المُرْبِي بنظمه على الجرباءِ[١] ونجومها، والغالبِ على شعره العرفانَ والفلسفةَ، إن مَدَحَ أو وصف أو تغزل وشبّب، وله في أميرِالمؤمنين علي عليه السلام نفحاتٌ قُدسيّة، وفي أُستاذه المجدّد لوائحُ عسجديّة.

والعالمِ الضّليع الميرزا محمّد ـ المتوفّى سنة ١٣٢٥ ـ ابن العلّامة الميرزا عبدالله الزنجاني المتوفّى سنة ١٣٢٩. كانَ أبوه من أصحاب الإمام المجدِّد وتلمذته، وبرع ولده هذا بعد رَدْحٍ منه في العلم والتحقيق، وعاد أحد المدرّسين في الفقه وأُصوله، لكنّه كان في ذلك العهد الذهبيّ ـ على استعداده العلمي ـ من الشعراء المجيدين بالعربيّة، رأيت له عدّة قصائد في الإمام المجدِّد المترجَم لهُ[٢].

وقد اقتضت ظُرُوفُ العلّامة الحجّة السيّد محمّد الهندي[٣] أن يسكن سامرّاء بذلك العهد النوري هو وولداه العالمان الشاعران: السيّد باقر، والسيّد الرضا، ولهما في سيِّدنا المترجَم قصائدُ هي من عِلِّيَّةِ الشِّعْر، ولقد سارت بشعرهما الرّكبان، وعرفه القريب والبعيد، وسبقا فيه سَبْقاً بعيداً، ولم يدعا فيه طريقاً جَدَداً إلّا وسلكاه، فجاءا في طليعة الشعراء، كما أنّهما تَبَوَّءا من العلم ذروةً عالية.

---

(١) الجَرْباء: السماء.

(٢) ذُكِرَ في حرف الباء من سبائك التبر مع ترجمته.

(٣) تقدّم ذكره الشريف.

وهناك آخرون كانوا يتعاطون قرض الشعر كهؤلاء أو دونهم، نَفَقَ[١] بهم سوق الأدب ورَبِحَتْ تجارتُهُ، ونُصِبَ صُوى[٢] الفَضلِ ورُفعت أعلامُهُ، وتجلّت آيات العلم وخفقت راياته، ونجح أمر الكمال ورجح ميزانه، كما أنّهم كانوا أعلام الدين، وحجج الإسلام والمسلمين.

هؤلاء أئمّة الشعر المقيمون في سامرّاء بظلِّ سيّدنا المترجم لهُ الوارفِ، وعلى ساحل علمِهِ المفعم، وغامر سَيْبِهِ الشَّامل.

وأمّا الشعراء الوافدون إليه في الآونة الأُخرى، أو الباعثون إليه وَلائِدَ أفكارهم الشعريّة حسب الاقتضاءات الوقتيّة، فَحَدِّث عنهم ولا حرج. لاسيّما في الأعياد الدينيّة ـ كالفطر، والأضحى ومبعث النبيّ صلّى الله عليه وآله ومولده ـ والمذهبيّة: كيوم الغدير ومواليد الأئمّة المعصومين عليهم السلام، التي كان يُعقَدُ فيها حَفَلات مبهجة، فيقصده فيها صاغة الشِّعر بمدائح أُولئك السادة الميامين عليهم السلام وتهنئته شُرَّعاً، كما أَنّهم كانوا يقصدونه بالتعازي والتأبينِ إن فُقِدَ أَحَدٌ من رجالات بيته الرفيع.

فلو ذهبنا لِأَنْ نعقدَ لهم ذكراً لأريناك منه مجلّداً ضخماً، وقد دَوَّنَّا ما وقع إلينا من ذلك الشعر الرائق من شعراء النجف الأشرف، وكربلاء المشرّفة، والكاظميّة وبغداد، والحلّة، وشعراء سوريّة، وإيران، والهند، المنظوم باللغة العربيّة

---

(١) أي قامت السوق وراجت تجارته.

(٢) الصُّوى: علائم توضع في المفازة لتكون دليلاً على الطريق، الواحدة صُوَّةٌ.

الفصحى فَحَسْبُ، فكان ديواناً كبيراً، لعلّه يربو على (٧٠٠) صحيفة، وذيّلنا كلَّ شعر بترجمةِ صاحبه[١].

وأمّا الشعر الفارسي فهو الآخَرُ يُعدُّ من أَنْفَسِ آثار الأدب. وأمّا ما نظم فيه باللغة الملحونة (حِسْكة) فلم نُدْخِلْهُ في أحد الديوانين، ولا جَمَعْتُهُ حتَّى الآن دَفَّتا تدوين.

وما كان سيِّدُنا المترجَمُ لهُ يبخس لأحد من وفود الشعر حقّاً، فكان يُزْلِفُهُم ويقدّر ما جاءوا به من الشعر، ويثيب كُلًّا بمقداره، فكان الشاعر يأتي بالدُّرِّ ويرجع بالتِّبْر، ومِلْءُ قلبه حَمدٌ وشُكْرٌ، وقَيْدُ لسانه مَدحٌ وذِكْرٌ.

---

(١) وهو الذي يأتي من بعد هذه الترجمة باسم (سبائك التبر).

[السيّد إسماعيل الشيرازي ووفاته]

كانت بين السيّد حيدر الحلّيّ والعلّامة الحجّة السيّد إسماعيل الشيرازي مودّةٌ أكيدةٌ غير منفصمة العُرَى، فصادف أنّه أَرفَدَهُ سيِّدنا المترجَمُ لهُ في إحدى وَفَدَاتِهِ بعشرين ليرة ذهبيّة، فاستنزرها السَّيّد إسماعيل وقال: إنّه شاعر أهل البيت عليهم السلام ولا يبلغ شَأْوَهُ مثلُ الحميري، وأبي نؤاس، ودعبل، وكان أئمّة الهدى عليهم السلام يقدّمون لهم الصُّرَرَ والبِدَر. فاستخبره سيِّدنا المترجم لهُ عن وجه الحيلة؟ فأشار بتدارك الأمر بأنْ يَصِلَهُ هو بمائة ليرة، فزار هو قُدِّس سرّه السيّد حيدرَ بنفسه ووصله بالمال.

هكذا كان السيّد الفذّ السيّد إسماعيل ـ قدّس سرّه ـ موئلاً للأُدباء، كما أنّه كان كهفاً للعلماء، ومرجعاً للفقراء، يطارح هذا بأدبه، ويناظِرُ هذا بفقهه، ويبسط إلى هذا ببشره، ثمّ ينيلهم الغايةَ المطلوبةَ، ويوليهم الضالَّةَ المنشودة لدى ابن عَمِّه سيِّدنا المترجَم لهُ، فقد كان حلقة الاتّصال بين المَلَأ وبينه. ولكثرة علمه، ووفور عقله، ودماثة أخلاقه، وشدّة تقاه، وتبصّره في الأُمور، اتَّخَذه مُسْتَودَعَ أسرارِهِ، واستوزره على مهامِّه. ولذلكَ كلِّهِ ـ وفضلِهِ الباهر، وتقدُّمِهِ على سائر تلاميذ المترجَم ـ كانت الأنظارُ طامحةً إلى خلافته بعده، وتقلّده زعامة الدين والدنيا.

على ذلك نيطت الضمائر، وانعقدت الآمال، وهو يَرفُلُ بينهم في حُلَلٍ من المجدِ قَشيبةٍ، ووسامٍ من العلم ناصعٍ، وهممٍ تستخفُّ بالهُضْبِ الرَّواسي، وعزائمَ تزري بحدِّ الظُّبَى، حتَّى عانته[1] أعين الزمان، فأَلْوَى الحِمامُ غُصْنَ قَوامِهِ النَّضْرِ، وأذبل يَنْعَهُ النَّدِيَّ، في العاشر من شهر شعبان سنة ١٣٠٥ عن ستٍّ وأربعين عاماً من عمره، وكان مولده سنة ١٢٥٨، فخسره العلمُ والكمالُ، وخسرته الأُمّةُ والآمالُ. وأُستاذُهُ الفذُّ في جميعِ علومه ومعارفه وهديه وهداه هو ابن عَمِّه ـ وزوج شقيقته ـ الإمامُ المجدِّد لا غيره، فلقد تكفّل بتربيته وتلقينه منذ نعومة أظفاره حتّى بلغ مبالغَ العلماءِ.

وأخبارُهُ في الكرم، ونوادره في الأخلاقِ، ومُلَحُهُ في المحاورةِ، ومحلُّهُ من الشَّرفِ، ومكانتُهُ من العرفانِ، ومُبَوَّؤُهُ من مستوى الحقيقة، وموقفُهُ من النبوغ، ممّا يضيق عنه نطاقُ السَّرْدِ والبيانِ.

وفي «الحصون المنيعة» لبحّاثة آل كاشف الغطاء الشيخ علي ـ بعد أن أثنى عليه ثناءً بالغاً ـ: «إنّه لم يُرَ مثلُهُ في الأشراف».

وفي كتاب «نقباء البشر» لبحّاثة العصر العلّامة الحجّة الشيخ آقا بزرك

---

(١) عانَتْهُ: أي حَسَدته، أخذاً من قولهم: فلان أصابته العين، واسم المفعول: مَعيونٌ. وقد ورد في الآثار الصحيحة عنه عليه السلام: «إنّ العين لتُدخِلُ الرجل القبر والجملَ القِدْر». مكارم الأخلاق: ٣٨٦. وفي يوم حُنين كان المسلمون كَثيري العدد فعانَهُمْ أبوبكر وقال: لن نغلب اليوم من قلّة، فوقعت الهزيمة على المسلمين. انظر شرح النهج الحديدي ١٥: ١٠٦، والدر النظيم: ١٨١.

الرازي[١] في ترجمته: إنّه كان أحقّ الناس بخلافته ـ يعني ابنَ عمّه ـ وحيثُ إنَّ الدهرَ الخؤونَ يُراغِمُ الأماني، والخَلْقَ المتعوسَ لم يكن له قابليّة أمثال هذه النفوس، حلّت به المنيّة قبل الأُمنيَّة، وتُلِمَتْ بفقده أركان الدين، ورُزِئَ به العلم والعلماء بل الخلائق أجمعين.. الخ.

توفّي بالكاظميّة، ونقل جثمانه إلى النجف الأشرف، ودفن بإحدى الحجر الشرقيّة من الصحن المقدّس[٢]، وأُقيمت له المآتمُ في البلاد، وتشادقت الأُدباءُ في التأبين له في المدن العراقيّة وغيرها، كما كثرت فيه مدائحهم إبّانَ حياته، ويوجَدُ شيءٌ منها في الديوان المؤلَّف ممّا قيل في رجالات هذا البيت الرفيع.

وكان العلّامة المحقّق الزعيم آية الله الميرزا محمّد حسين النائيني الغروي ـ المتوفّى في ٢٦ جمادى الأُولى سنة ١٣٥٥ ـ يحدّث عنه بأحاديث تنمُّ عن ثَبَجِ مجده الأرفع، وذروة حقيقته الرفيعة، وزُلفتِهِ من رَبِّه، وسلوكِهِ مسالكَ سلفِهِ الطاهر عليهم السلام، وتثبت له كرامةً باهرةً أثبتناها في غير هذا الموضع[٣].

وقد أوجبَتْ له فضائلُهُ الجمَّةُ، ونفثاتُهُ القدسيّةُ، أن يَكون فيها قدوةً للعلماء والزعماء، غيرَ أنّ حراجة الموقف أَلجأَتْني إلى أن أضرب عنها صفحاً، وإنّما اندفعت إلى إفاضة القول في هذه الترجمة لشدّة الصلة بينها وبين ذكرى الإمام المجدّد.

---

(١) تُرجِمَ شيخُنا الطهراني في باب التراجم (من هنا وهناك) من هذه الموسوعة.

(٢) دفن بعد ذلك الشيخ النائيني في هذه المقبرة فاشتهرت باسمه.

(٣) انظرها في ملحق الرياض الزاهرة (في باب المجاميع) من هذه الموسوعة.

لم نشذَّ عن القصد، ولا شطَّ بنا التَّبَسُّطُ في القول عن الغاية المتوخَّاة، وإنّما تحرّينا إثبات أنّ نظريّة الإمام المجدّد ما كانت مقصورةً على نشر فضيلة دون فضيلة، ولا أنّ منهاج مدرسته كان يعدوه الموادّ المهمّة في الإصلاح والتدريب والتعليم والتهذيب، ولم تكُ همّته القعساءُ لتدعَ للمتخرِّجين عليه حاجةً في الدخول في أيِّ كُلِّيَّة راقية، أو في الأخذ عن أيِّ أُستاذ ضليع، ففسح للتلاميذ التفنُّنَ في العلوم، والتوسُّعَ في الفضائل جمعاء. فبينا تجد الرجل منهم فقيهاً قد أشغله تطبيقُ الفرع على الأصل، مستفرِغاً وسعه لاستنباط أحكام الدّين، تراه خائضاً في الفنّ الأعلى، يحقّق الماهيّة والوجود، ويبرَعُ في مباحث الفلسفة كفَنِّيٍّ فيها، وتلقاه متولِّعاً في الكلام يَدْحَضُ شُبَهَ المُبطلين، ويَرْحَضُ معرَّتهم بالحُجَجِ النَّيِّرةِ، وتوافيه أخلاقيّاً راضَ نفسه بأدبِ الدِّينِ فشغلها عن زبارِجِ الدُّنيا الفانية مقبلاً بكُلِّهِ إلى رَبِّه كما يحقّ للإنسان الكامل أن يكون عليه، وزاهداً ناسكاً شغلته محاسبةُ نفسِهِ عن الفكرةِ في أمرِ غيرِهِ.

وإن تعجبْ فعجبٌ أَنَّكَ تقف عليه بعد ذلك كلِّه فتُبصِرُ منه ذلك الناهض لصالح قومه، والثائرَ دون مَناجِحِ أُمَّته، لا تألَفُ عيناهُ الرُّقاد حتَّى يجدَ من نفسه مُسْدِياً إليها معروفاً، أو ذائداً عنها دائرةَ سوءٍ، أو ساعياً لها في تقدُّمها، وإذا طاب لها الهناءُ بشيءٍ من ذلك طَفِق يُروِّحُ نفسَهُ بنَضْدِ بنات أفكاره في أسلاكٍ شعريّة تُطرِبُ السامعَ، وتُبْهِجُ النَّاظِرَ، فلا تتوسَّمُ منه عندئذ ـ لو لم تكن مُسْتَحْفِياً[1] خَبْرَ

(١) استحفاهُ الخبرَ: استخبره عنه على وجه الدّقَّة.

حياتِهِ الثَّمينة من كَثَبٍ ـ إلّا مُعاقِرَ صَرْخَدٍ[١]، أو صابياً إلى زَفَنٍ[٢]، أو متطرِّباً مع قَيْنةٍ، أو متلهّياً بالمعازف.

وتعرفُ عنه تارة أيَّ واصفٍ مبدع لآثار الخِلْقَةِ كأنّه هو الّذي بَسَطَ أديمَ الفلكِ، وطوى أَجواز الفلا[٣]، فرأى عجائبَ القدرةِ، ونَظَرَ إلى بدائعِ الصُّنْعِ، فأخذَ يصفُ النُّجومَ تارةً، ويحكي عن الأزهارِ والأشجارِ أُخرى، ويَشدُو عن أَلْسُنِ البلابل والطُّيُورِ طَوْراً.

وقد ينعطفُ على نظمِ الحِكَم البالغة، وسَردِ الحقائق الراهنة، فيوليك الفلسفةَ العليا، والعرفانَ الناضج.

وإذا مدح ألمسك الحقائق والنفسيّاتِ باليد، وهو عند النَّوحِ يَدَعُ بناتِ الدَّوْحِ كالخَلِيِّ لا تعرفُ الجَوَى، وترجع عنهُ بنتُ الهديل[٤] خاسئةً: «هذي المناقب لا قعبان من لبن..»[٥].

هكذا كان سيّدنا المترجَم لهُ يسير بتلاميذه إلى الأَمام، وقد احتذى مثاله في حُسْنِ الإدارة مُشاطِرُهُ على الإصلاحِ العامِّ ابنُ عمِّه السيّد الميرزا إسماعيل

---

(١) الصَّرْخَد: الخمر.

(٢) الزَّفَن: الرَّقْصُ.

(٣) أجوازُ الفلا: طُرُقها وأواسطها ومعظمها، الواحدُ جَوْزٌ.

(٤) بنت الهديل: الحمامة.

(٥) هذا القسم مأخوذ من قول أُميّة بن أبي الصَّلت كما في ديوانه: ٣٥٠:

تلك المناقبُ لا قَعبانِ من لَبَنٍ
شِيبا بماءٍ فَعادا بَعْدُ أبْوالا

المنوَّه بذكره سابقاً، حتّى اختار الإلهُ له لقاءَهُ فاستاء له الملأ الشِّيعيُّ ...

كان لسيِّدنا المترجَم له بطانة ممّن سبقت إليهم الإشارة من علماء تلمذته من ذوي الحنكة والتجاريب الصحيحة، والأفكار الناضجة، يستشيرهم في مهامِّه، ويطلب ما عندهم لدى اصطدام الأُمور، ونزول العظائم، غير أنَّ عميد القوم، وبيت قصيدهم هو السيّد الميرزا إسماعيل، وكان لنظريّات المترجَم نفسِهِ ـ بعد احتكاك الآراء، وتبادل الأفكار ـ تبرُّزٌ ومَنَعَةٌ، وحُظوةٌ وافية من السَّداد تنتهي إليها الكُلُّ بطبعِ الحال.

[السيّد الميرزا محمّد الشيرازي]

قلّد الإمام المجدِّد رتبةَ ابنِ عمِّه الفقيدِ وزلفته منه بعدَهُ أكبرَ أنجالِهِ؛ العلّامة الحجّه السيّد الميرزا محمّد الّذي عَرفَ منه حنكةً وجدارة، وتأهُّلاً لهاتيك المرتبة الجليلة، وأمانة وورعاً يؤمن معه مِنْ حيفه في أُمور المسلمين، وكان قد تسنَّمَ من العلمِ ذروةً عالية، مشفوعةً بِشناشِنَ علويّةٍ مزدانةٍ بعبقريّة هاشميّة، ونبوغٍ عَنَتْ له الوجوهُ، وأخلاقٍ كريمة قد نيطت بأعياص[1] المجدِ أَواصِرُها، ولم يزل يَرْفُلُ في حُلَّةٍ من الشَّرف ضافيةٍ، ومِلْءُ أبراده علمٌ وحلمٌ وتُقى، إلى حُلُومٍ راجحةٍ، وحصافةٍ في الرأي تستخفُّ بالشُّمِّ الأَخاشيب[2].

ولد ليلة الإثنين الخامس من ذي القعدة الحرام سنة ١٢٧٠، وأخذه والده المجدِّد إلى سامرّاء سنة ١٢٩١ وهو ابن ٢١ عاماً. وربّاه أوّلاً السيّد البارع الميرزا آقا ابن أَخي سيِّدنا المترجَم لهُ. ثمّ كان تلمّذه لدى المحقّق الأكبر السيّد محمّد الإصفهاني المنوّه به غير مرّة، حتّى حصل له التأهّل للحضور في درس والده

---

(١) الأعياص: جمع العيص، وهو الأصل.

(٢) الأخاشيب: جمعُ الأَخْشَب، وهو الجبل الغليظ الخشن.

المعظّم، فاستقى هناك من بحر علم متدفّق لا نفاد له، وصادف منه محلّاً قابلاً لذلك المبدأ الفيّاض، فعاد إحدى خزائنِ العِلْمِ، وعُبابَ الفضائل، وعَيْبَة أسرارِ المسلمين، حتّى خالسه القدر المحتوم سنة ١٣٠٩، وفقدته الأُمّة والأمل، وخسره الفضل والورع، ويقال: إنّ والده لمّا أُنْهِي إليه نبأ وفاته أُغمِيَ عليه.

وأَبَّنته شعراء العراقِ بشعرهم الذهبيِّ، كما أنّهم كانُوا يُسْمِعُونَهُ والملأُ مدائحَهُ الجمّة في حياته. وجملةٌ منها توجد في الديوان المشار إليه آنفاً.

وحمل نعش الفقيد إلى النجف الأشرف، ودفن بإحدى الحُجَر الشرقيّة من الصحن العلويّ المقدّس حيث مدفن ابن عمّه السيّد إسماعيل ـ السابق ذكره ـ ودفن فيها بعدهما العلمُ الحجّةُ السيّد محمّدُ الإصفهاني[١] المحقّقُ الشهيرُ المذكورُ في هذه الترجمة غيرَ مَرَّةٍ[٢].

خَلَفُهُ أَربعةُ كرامٍ: الميرزا جعفر[٣]،.....

---

(١) الفشاركي.

(٢) ودفن في هذه المقبرة أُستاذ العلماء آية الله العظمى الشيخ النائيني قدّس سرّه، والآن تعرف المقبرة باسمه كما تقدّم، ودُفِنَ بها أخيراً أحد تلامذته العظام وهو آية الله الشيخ حسين الحلّي المتوفّى سنة ١٣٩٤.

(٣) العلّامة الحجّة السيّد جعفر، ولد سنة ١٢٩٨، وتوفّي سنة ١٣٦٧، وقد أرّخ وفاته الشيخ محمّد السماوي ـ كما سوف يأتي في حرف الراء من سبائك التبر ـ وكان يعرف بالفضل والسيرة الحسنة. وقد أعقب ولداً واحداً وهو السيّد محمّد، وكان من فضلاء الحوزة في النجف الأشرف، وقد حضر دروس الآيات العظام، مثل السيّد عبدالهادي الشيرازي، والسيّد الخوئي، والشيخ باقر الزنجاني، قدّس الله أسرارهم.

➲ وأعقب السيّد محمّد ولدين: الأوّل محمّد مهدي، وهو محقّق هذه المجموعة، وكانت ولادته سنة ١٣٦٠، وأعقب أربعة أولاد: السيّد حسين، والسيّد أحمد، والسيّد صادق، والسيّد محسن حفظهم الله تعالى ووفّقهم لخدمة الإسلام.

والثاني العلّامة الحجّة الشهيد السعيد السيّد علي، استشهد في الانتفاضة الشعبانيّة سنة ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م كبقيّة إخوانه المؤمنين المظلومين الّذين لا ذنب لهم سوى أنّهم يوالون صاحب الحقّ، ويسيرون على نهج الإسلام القويم.

ولد السيّد علي قبل وفاة والده بسنة ـ أي سنة ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م ـ في النجف الأشرف، فنشأ على يد أخيه، فربّاه خير تربية، وكان شابّاً مؤمناً تقيّاً ورِعاً، وقد أذعن بذلك من عاشره وعرفه.

وبعد دراسته في المدارس الأكاديميّة دخل الحوزة العلميّة في النجف الأشرف وأخذ من الأوّليّات حظّه الأوفى، فصار يدرِّس المقدّمات والسطوح، ثمّ حضر دروس الآيات العظام: مثل السيّد الخوئي قدّس سرّه، والسيّد السيستاني دام ظلّه، وكتب منهما مقداراً لا بأس به، خصوصاً من درس السيّد السيستاني دام ظلّه الوارف، فرحمه الله برحمته الواسعة، ولعن من قتله وحرمه من عياله وأطفاله، فإنّا للّه وإنّا إليه راجعون. وقد أعقب من البنين أربعة: السيّد محمّد، والسيّد مرتضى، والسيّد حسن، والسيّد حسين حفظهم الله تعالى.

وكانت زوجته بنت الحجّة السيّد محمّد تقي السيّد جعفر المرعشي الّذي استشهد مع ولديه العلّامة السيّد محمّد، والسيّد أحمد رحمهم الله تعالى.

وكذلك استشهد في الانتفاضة أيضاً من أُسرتنا: الحجّة السيّد محمّد إبراهيم ابن آية الله سيّد الطائفة ومرجعها السيّد عبدالهادي الحسيني الشيرازي، المولود ١٣٤٨، مع ولده الوحيد الفاضل العلّامة السيّد باقر المولود سنة ١٣٧٦.

الميرزا هاشم[١]، الميرزا محمّد تقي، الميرزا محمود[٢]، ولغير الثالث منهم ذرارٍ طيّبة، وفيهم من تحلّى بفضائلَ جَمَّةٍ.

وللعلّامة الميرزا محمّد هذا في مكارم الأخلاق أخبار شيّقة؛ وفي التواضع أنباء جميلة تُحَبِّذُ للعلماءِ والأشرافِ أن تكون لهم فيه أُسوة حسنة، غير أنّ سرد تلكم المزايا يوجب خروجاً عن القصد.

حدّث العلّامة زعيم البصرة السيّد محمّد المهدي القزويني الكاظمي[٣] وقد شهد ذلك العهد الميمون بعينه: إنّ السيّد الميرزا محمّداً المذكور ـ عَلَى

---

(١) توفّي في ٢٥ شهر ربيع الأوّل سنة ١٣٩١، ودفن مع أخيه السيّد الميرزا محمّد تقي المتوفّى سنة ١٣٧٢ عند الإمامين العسكريّين في الرواق المطهّر من جهة الرِّجْل.

(٢) توفّي في السابع من محرّم الحرام سنة ١٣٩٠، ودفن في مقبرة جَدِّه الإمام المجدِّد.

(٣) السيّد محمّد مهدي بن صالح الموسوي الكاظمي القزويني (البصري)، ولد بالكاظميّة سنة ١٢٧٢ واشتغل بها، وهاجر إلى سامرّاء حدود ١٣٠٠، وكان يحضر بحث السيّد المجدِّد، وبحث غيره من العلماء مثل: الشيخ المحلّاتي الشيرازي، والشيخ إسماعيل الترشيزي.

وفي سنة ١٣١٤ أقام في الكويت، وفي سنة ١٣٤٣ نزل البصرة، وله مؤلّفات كثيرة ومواقف مشرّفة. توفّي في البصرة ١٣٥٨، ودفن في النجف الأشرف في أوّل حجرة على يسار الداخل من باب العمارة. انظر الذريعة ٧: ٦٨.

أقول: وهو والد العلّامة الحجّة السيّد مير محمّد الذي خَلَفَ والده في البصرة مدّةً طويلة، له مؤلّفات كثيرة، ثمّ انتقل إلى الكويت مدّة من الزمن غير قصيرة، واشتغل بالكتابة والتأليف حتّى قضى نحبه ١٤١٤، ونقل جثمانه إلى مدينة قمّ المشرّفة، ودفن في الرواق عند المعصومة سلام الله عليها.

شرفِهِ المعلّى، ومجده الأَثيل، وحسبه الوضّاح، ونسبته السَّنِيَّة، ونسبه الكريم ومكانته الشامخة من العلم والأدب والفضائل كلِّها ـ كان لا يمتاز عن غيره من الطلبة؛ بِبِزَّة، أو أَنَفةٍ، أو تَرَفُّعٍ، أو ما يشبهها من صفات المُتَحيِّثين في الغالب، فكان لا يعرفه مَن لم يكن له سابقة معرفة به من قَبْلُ بشيءٍ من مظاهر الجلالة، وآثار الأُبّهة.

ومن ذلك أنّ أحد الوافدين إلى سامرّاء يومئذ من طلبة «يزد»[١] ـ ذكر اسمه ونسيته ـ صادف في أوَّلِ وروده أن اتَّخذه أَليفاً له، فعاشره سِتَّة أشهر، وبعد ذلك سأل بعض أُلّافه عمّا كان يسمع من أنّ للإمام المجدِّد ولداً اسمه السيّد الميرزا محمّد؟ فقال له: هو صاحبك منذ ستَّةِ أشهر.

هذه شنشنة علويّة و«بأَبِهِ اقتدى عَدِيٌّ في الكَرَمْ»[٢].

كان أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام ربّما استطرق بعض جَوادِّ الكُوفة وأسواقها والناس هنالك لا يعرفونه، فيقول: «طرّقوا أو أفرجوا لإمامكم أو لأميركم» فيفرجون له[٣].

وبماذا كانوا يعرفونه وهو يقول: «لقد رَقَعْتُ مِدْرَعَتي هٰذه حَتَّى استَحْيَيتُ مِن راقِعها»[٤].

---

(١) محافظة كبيرة من محافظات إيران.

(٢) هذا القسم من شواهد النُّحاة في باب إعراب الأسماء الخمسة بالحركات خلاف القاعدة. وتتمّته: «ومَن يُشابِهْ أَبَهُ فَما ظَلَمْ».

(٣) لم أقف على هذه الحادثة وهذا القول لأميرالمؤمنين عليه السلام.

(٤) نهج البلاغة ٢: ٦٠/آخر الخطبة ١٦٠.

وعلى ذلك ليس أَمامَهُ جِلْوازٌ[١]، أو شرطيٌّ يدفعُ، ولا خلفَهُ حَشْدُ الرِّجالِ، ولا خَفَقانُ النِّعال. نعم كانت تَعْرِقُهُ[٢] الحربُ والضَّربُ، وتَعْرِفُهُ الخيل والليل[٣]، وتَهتِفُ بذكره الكتائب والمناقب إذا دُقَّ الرِّعالُ على الرِّعالِ[٤]، وهُزِمَ بُهَمُ[٥] الرِّجالِ، وتُنَوِّهُ به المحاريبُ والمنابرُ إذا ابتهلَ أو استرسلَ، وتألفُ إليه عويصاتُ العُلُومِ، ومُشكِلاتُ القضاء إذا ارتبك فيها العلماءُ، وأفاض القولَ في تحليلها كالسَّيلِ المتدفِّق غيرَ متلكِّئ ولا متلعثم.

ليس من البِدْعِ أَن يكون من شُبُولِ هذا الإمام عليه السلام، أَوْحَدِيٌّ عَرَّقَ فيه السُّؤدد والشَّرفُ؛ عَرَّقَ[٦] فيه العبقريّةُ والنبوغ، عَرَّقَ فيه الورع والتقوى، عَرَّقَ فيه النفسيّةُ الكريمةُ، والضَّرائبُ[٧] الحميدةُ، فيرفُلُ بين الملأ مُزْداناً بِتِلْكُمُ الحُلِيِّ والحُلَل، لا تروقه الفخفخةُ الخلّابةُ، والزهو بالمجدِ الكاذبِ، فلا تعرفه

---

(١) الجلْواز: معينُ الظَّالم، الجمع جَلاوزة.

(٢) عَرَقَ العَظْمَ: أكل ما عليه، وهو هنا كناية عن طول مزاولته للحرب والضرب.

(٣) إشارة إلى قول المتنبّي كما في ديوانه: ٢٧٠:

الخيلُ والليلُ والبيداءُ تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقَلَمُ

(٤) الرِّعال: جمع الرَّعْلة والرَّعيل، وهي القطعة المتقدّمة من الخيل.

(٥) البُهَمُ: جمع البُهْمَة، وهو الشجاع الذي يستبهم مأتاه على أقرانه.

(٦) هذا في معنى قول السيّد الشريف الرضي ـ رضوان الله تعالى عليه ـ كما في ديوانه ١: ٣٥٣:

ما عُذرُ من ضَربَتْ به أَعراقُهُ حتَّى بلَغْنَ إلى النبيّ مُحَمَّدِ

أَلَّا يَمُدَّ إلى المكارِمِ باعَهُ وَيَنالَ مُنْقَطَعَ العُلَى والسُّؤْدَدِ

(٧) الضَّرائب: جمع الضَّريبة، وهي السجيّة والطبيعة.

الرَّعْرَعَةُ[١] من دَهْماءِ الناس، ومن لا عهد له به، وإن كانت في يده أَزِمَّةُ البَسْطِ والقبض، ولديه الحلُّ والعقدُ:

[من البسيط]

للّهِ تحتَ قِبابِ العَرشِ طائِفَةٌ أَخفاهُمُ عن عُيُونِ النّاس إجلالا
هُمُ السَّلاطينُ في أَطمارِ مَسْكَنَةٍ جَرُّوا عَلى الفَلَكِ الدَّوَّارِ أَذيالا[٢]

* * *

(١) الرَّعْرَعَة: اضطراب الماء الصافي واختلاطه، ومنه قيل: هو من رِعاع الناس، لأنّ العاقل يوصف بالتثبُّت والتماسك، والأحمق بضدّ ذلك.

(٢) بيتان مشهوران مجهولا القائل.

[بناء المدرسة العلميّة للطلّاب]

اكتظَّت سامرّاء بالنُّزَلاء من أعلامِ الدِّين، ورُوَّادِ العلم، فكانت الدُّورُ تضيق عن أن تُقِلَّ الساكنين على معاناتِهِم المضائِقَ فيها باجتماع أُسرتين أو ثلاث في دار واحدة، على حين أنَّ البلدة ما كانت فيها أُهبة هذا الاجتماع، فإنّ المجتمعين فيها كانوا كثيرين ـ غير الطلبة الذين أوعزنا إلى عدّتهم ـ من التّجّار وأهل الحرف والمهن والأعيان، نعم «والمورد العذب كثير الزحام»[1]، فبنى الإمامُ المجدِّد سنة ١٣٠٨ مدرسةً ذات غُرَفٍ كثيرةٍ تأوي إليها الطلبة، وأَرَّخها الأديب البارع الشيخ عبّاس الزيوري البغدادي[2] بقصيدة يمدح بها سيِّدنا المترجَم لهُ يقول في آخرها:

[من المتقارب]

مَدارسُ لِلْعِلْمِ قَدْ شادَها ... تَرَى السَّعْدَ في جَوِّها مُقْتَرِنْ

أَقامَ بِها الخَيْرُ بعدَ النُّزُو ... حِ والفَضْلُ عَن بابِها ما ظَعَنْ

---

(١) صدر البيت: «تزدَحِمُ النّاسُ على بابِهِ ... والمورد العذب ...». وهو لبشار بن برد كما في ديوانه ٤: ٢١٢.

(٢) الشيخ عبّاس الزيوري مترجم في حرف العين من سبائك التبر كما سيأتي.

فَـــمُذْ تَـــمَّ بُـــنْيانُها أَرِّخُـــوهُ «شِيدَتْ مَدارِسُ عِلْمِ الحَسَنْ»

١٣٠٨

وكان بناؤها بإنفاق من الشَّهْم الهُمام الحاج الميرزا عبدالحسين أمين التُّجَّار الشيرازي ـ نزيل بمباي ـ من أعاظم تُجَّار إيران، ويتراوح ما أنفقه في هذا السبيل من المال بين (٢٠٠٠ ـ ٣٠٠٠) ليرة ذهبيّة. وله باحتان، أو قل: هما مدرستان: صغرى وكبرى، وكلٌّ منهما ذات طابقين أدنى وأعلى، والجميع مؤلّف من ٩٥ غرفة لسكنى الطلبة، والقليلُ منها كان يسكنُ الغرفةَ الواحدةَ منه الرجلُ الواحدُ، وأمّا الأَكثرُ فكان الرَّجلانِ والثَّلاثةُ، وفي قليلٍ من غُرَفِ المدرسة الصُّغرى كان يبلغ ساكنوا الغرفة إلى ٤، ٥ و٦[1].

---

(١) يقول الدكتور علي الوردي فيما يتعلّق بالمدرسة وغيرها من خدمات السيّد قدّس سرّه: صار الشيرازي بعد استقراره في سامرّاء ينفق الأموال الطائلة فيها، فشيّد مدرسةً دينيّة تتّسع لمائتين من الطلّاب، وهي ما زالت قائمة تعرف باسم: «مدرسة الميرزا»، كما بنى حسينيّة وحمّاماً للرجال وآخر للنساء، وسُوقاً كبيراً، ودُوراً كثيرة، ونصب جسراً من القوارب على دجلة بلغت تكاليفه ألف ليرة عثمانيّة، وكثرت هجرة الشيعة إلى سامرّاء من شتّى الأنحاء حتّى أصبحت بلدة عامرة، مع العلم أنّها لم تكن قبل ذلك سوى قرية صغيرة بيوتُها من طين، وكاد السكّان القدامى يذوبون في خِضَمِّ هذا النُّموِّ السريع. وأخذ الشيرازي يبذل لهم العطاء بغيةَ تأليف قلوبهم، فأحبّه الكثير منهم؛ وسار الشيعة يقيمون طقوس العزاء الحسيني على عاداتهم في كلّ بلدة يحلّون فيها، وهي طقوس كانت في تلك الأيّام تؤثّر في النفوس تأثيراً عاطفيّاً عميقاً؛ خاصّةً في أوساط العامّة وأبناء العشائر، فوقع أهلُ سامرّاء تحت تأثيرها، وشَرَعُوا هم أنفُسُهُم يُخْرِجُونَ مواكبَ العزاء تقليداً

للشيعة، ومعنى هذا أنّهم بَدَؤُوا يسيرون في طريق التشيّع شيئاً فشيئاً على نحو ما فعل الكثير من سكّان العراق قبلهم.

ثمّ ذكر الدكتور الوردي ما حصل من تحوّل وردّ فعل:

إنّ هذا التحوّل الهامّ الّذي حدث في سامرّاء أدّى إلى ظهور ردّ فعل شديد ضدّه بين علماء السنّة في بغداد، فتحفّزوا للعمل في سبيل إنقاذ سامرّاء، وكان أشدّهم حماساً في ذلك: الشيخ محمّد سعيد النقشبندي، فقابل والي بغداد الحاج حسن باشا وباحَثَهُ في الأمر، وأبرق هذا إلى السلطان عبدالحميد يخبره بالخطر الّذي يهدّد سامرّاء.

كان السلطان عبدالحميد في تلك الآونة يسعى نحو توحيد كلمة المسلمين للالتفاف حوله، ولعلّه لم يكن يحبّ أن تتطوّر قضيّة سامرّاء بحيث تؤدّي إلى توتّر العلاقة بينه وبين الشاه ناصرالدين، والظاهر أنّه أرسل إلى والي بغداد يأمره أن يعالج القضيّة بهدوء، فإذا كان الشيرازي قد فتح مدرسةً شيعيّة في سامرّاء فليفتح الوالي إزاءَها مدرسةً سنّيّة، ولا يزيد على ذلك شيئاً.

سافر الشيخ محمّد سعيد النقشبندي إلى سامرّاء مُـخَوَّلاً بفتح المدرسة في سامرّاء، وخرج أهل سامرّاء لاستقباله واحتفوا به احتفاءً منقطع النظير، حتّى قيل في حينه: «كأنّه ظهر المهديُّ عليهم بقدومه».

واستأجر النقشبندي داراً جعلها مدرسةً له، وأخذ يشتغل بالتدريس والإرشاد.. وسجَّل فيها عمومُ أولاد رؤساء هذه البلدة.. فضبَطَهم وضَبَطَ آباءهم.. ثمّ ذكر الدكتور الوردي أشياء كثيرة فراجع ج٣ ص ٩١ من كتابه لمحات اجتماعيّة من تاريخ العراق.

أقول: كانت مساحة المدرسة ثلاثة آلاف متر، وكانت في طريق غير واسع، لها شَـرَفِيَّةٌ على الطريق مقدار المدخل فقط، وفي سنة ١٩٦٥م فَـتَحَت الدولة شارعاً إلى جنب المدرسة وأخذت من مساحتها ألف متر، وصار للمدرسة شَرَفِيَّةٌ عظيمة على الشارع

[نصب جسر على نهر دجلة]

وفي هذا العام ـ أعني سنة ١٣٠٨ ـ وصل سيِّدنا المترجم لهُ بين ضفَّتي دجلة بجنب سامرّاء بجسر خشبيّ، ممدود على ٤٨ قارباً «جَسَّارِيَّات»، وأنفق (٤٠٠٠) ليرة ذهبيّة دفعها مَرّةً واحدة إلى التاجر العظيم الحاج عبدالهادي الاسترابادي ـ نزيل الكاظميّة ـ ليباشر العمل، فلم يزل مباشراً له يختلف إلى سامرّاء، ويلتقي مع سيِّدنا المجدِّد حتّى أكمل العمل، وتوخَّى أن يكونَ الإمامُ المترجَمُ لهُ أوَّلَ عابر عليه، فكان كما أراد، وَيَمَّمَهُ في حشدٍ علميّ مُحْتَفّاً بالعلماءِ والأكابر، وجلس هو وصحبه في منتصف الجسر على كراسي كان

➲ العام طولها ١٠١ متر، فبُني جدارٌ من الطابوق والكاشي، فيه آيات من القرآن الكريم، بأمر من آية الله السيّد الخوئي قدّس سرّه، ولكن في سنة ١٤١١هـ / ١٩٩١م لمّا حدث اضطراب شديد ضدّ الحكم القائم في النجف الأشرف وكربلاء وبقيّة المحافظات ثارَ جُهَّالُ سامرّاء يحاربون المدرسة بالحجارة والرّصاص لمدّة يومين، ثمّ هجموا على المدرسة ونهبوا جميع أثاثها ومكتبتها الثمينة، ثمّ هَدَمُوها ولم يُبْقُوا لها أثراً. وقيل: إنّ العقلاء من أهل سامرّاء لم يقبلوا هذا الأمر ولكن بدون فائدة عمليّة كما سمعت بذلك، والله العالم.

نَضَّدَها الحاج عبدالهادي له، وأُديرت بينهم أَكْؤُس العصير السُّكَّرِيّ (شَرْبَت)، ثمّ استدام عبورُ الناس عليه. وأُزيح عن الزُّوّار والسَّابلةِ ما كانوا يُقاسونه من أرباب القوارب والقِفاف[1] المعبِّرة من الحَيْفِ والجَنَفِ.

وهذا الجسرُ أَرَّخَهُ السيّد جعفر الحلّيّ[2] بقصيدةٍ في الثناء على سيِّدنا المجدِّد يقول في آخرها:

[من الوافر]

وكَمْ لَكَ في الوَرَى آثارُ خَيْرٍ ... لَنا ما دامَتِ الدُّنْيا تَدُومُ
نَصَبْتَ بِدِجْلَةٍ لِلْوَفْدِ جِسْراً ... يَجُوزُ بِهِ عَدُوُّكَ وَالحَمِيمُ
سَعَيْتَ بِهِ وَفِيهِ النَّاسُ عاشَتْ ... وَكَمْ عاشَتْ بِصَيْدِ الصَّقْرِ بُومُ
كَأَنَّكَ خِفْتَ دِجْلَةَ أَن تُبارِي ... نَداكَ ومِن هُنا غَضِبَ الحَلِيمُ
لِذاكَ تَشُقُّها كَالبَحْرِ لَمَّا ... تَشَقَّقَ حِينَ أَدَّبَهُ الكَلِيمُ
لِقَبْرِ الهادِيَيْنِ بِهِ سَلَكْنا ... بِذَنْبٍ لا نُطِيقُ بِهِ نَقُومُ
يَقُولُ اللهُ لِلْمُجْتازِ فِيهِ: ... نَجَوْتَ فَلَيْسَ يَقْرَبُكَ الجَحِيمُ
وَكَيْفَ يَخافُ سالِكُهُ جَحِيماً ... وَجَدُّ الهادِيَيْنِ لَها قَسِيمُ؟!
فَجُزْ لِلجَنَّتَيْنِ بِهِ وَأَرِّخْ: ... «وقُلْ نِعْمَ الصِّراطُ المُسْتَقِيمُ»[3]

١٣٠٨

---

(١) جمع القُفَّة، وهي شيء كالزَّورق صغير مُدَوَّر، يصنع من الخشب والخوص وغيرهما ليُعبَرَ عليه في الماء.

(٢) السيّد جعفر الحلّي مترجم في حرف الدال من سبائك التبر كما سيأتي.

(٣) ديوان السيّد جعفر الحلّيّ: ٤١٤.

وللشيخ عبّاس الزيوري البغدادي قصيدة أُخرى في المدح، وفي آخرها:

[من الخفيف]

يـــا إِمـــامَ المَـــلا وَمَـــنْ بِـــهُداهُ سَوْفَ تُحْمَى مِنَ الضَّـلالِ الرُّسُـومُ

لَكَ فِي سُرَّ مَـنْ رَأَى أَرِّخُـوا «كُـمِّـ ... ـــلَ جِسْـرٌ صِـراطُـهُ مُسْـتَقِيمُ»

١٣٠٨

ولا نعلم أنّ الحاج عبدالهادي المذكور هل أكمل بذلكَ المالِ فحسب، أو أنَّهُ أخذ من سيِّدنا المترجَم ما يسدّ به إعوازه في الأثناء، أو بعد الإتمام، وإن كان الظاهرُ هو الأوّل، أو أنّه كان معه طفائف لا تُذْكَرُ.

[بناء رباط للزُّوّار]

وممّا أسّسه الإمام المجدِّد في هذه السنة رباط لنزول الزوّار والسابلة على ثلاثة فراسخ من سامرّاء في طريق خان التجّار بين بعقوبة وسامرّاء. وأرّخه الشيخ عبّاس الزيوري البغدادي بقصيدة يمدحه بها يقول فيها:

[من الخفيف]

شادَ لِلدِّينِ في العُلُومِ بُيُوتاً ... فِيهِ أَضْحى عِمادُها مَرْفُوعا

مِثلَ ما شادَ في بَني (سَعْدَ بَيْتاً) ... قَد علا شَأْنُهُ وكانَ وَضِيعا

عادَ كَهْفاً لِلزّائِرِينَ ومَأْوىً ... لِلمَخُوفِينَ[1] والمُضامِينَ جُوعا

فَلَكٌ قَد أَدارَهُ الحَسَنُ الفِعْـ ... ـلِ بهِ كَمْ بَذَّ الشُّمُوسَ سُطُوعا

وَمَحَلٌّ لِلزَّائِرِينَ مَقِيلٌ ... فِيهِ تَبْدُو غُرُّ الوُجُوهِ طُلُوعا

حَسَنُ الخُلْقِ والخَلِيقَةِ وَالإِسْـ ... ـمِ ومَن فاقَ العالَمِينَ جَمِيعا

وَلِأَهْلِ العُلُومِ أَرَّخْتُ (مِلْكٌ ... شادَ للزَّائِرِينَ بَيْتاً مَنِيعا)

١٣٠٨

---

(١) كذا، والصواب: «للمُخافين».

[واقعة فتنة]

وفي سنة ١٣١١ كانت واقعةُ سامرّاء المشهورة، وهي: أنّ السَّامَرِّيين على أنّهم كانوا مغمورين بِنِعَمِ سيِّدنا المجدِّد ـ سواءً في ذلك ما كانوا يستفيدونه منه نفسه، وما أصبحت تُهالُ عليهم من المنافع التجاريّة لأهل الحِرَفِ والمِهَنِ لمكان المجتمع الحافِّ به، وكانوا خِلْواً منه قَبْلَهُ ـ وما كانت تُسْدِي إليهم من برّ ومعروفٍ بسبب مكث الزائرين فيه أكثر ممّا قَبْلَهُ وما بَعْدَهُ؛ لكونه مرجعهم الدينيَّ الوحيد هنالك لقضاء أوطارهم، وطلباتهم الراجعة إليه. فبالرغم من تلكم الفوائد الجمّة وغيرها كانت تبهظهم ما هُنالك من روعة وجلالة؛ لتباين النزعات، واختلاف الأهواء، فإنْ كانوا لا يجدون مُنْتَدَحاً من الخضوعِ له فإنّ في القلوب ما فيها.

صادف ذلك أنّه كان في سامرّاء رجلٌ من أهل الحلّة يُسمَّى عبد الحسين، وكان من أهل النَّجدة، وأُتيح له القيام على وظائف العَمَلَة والبنّائين كلّما عزم الإمام المجدِّد على شيءٍ من البناء، ولتدقيقه في الأمر ـ وانتمائِهِ إلى سيِّدنا المترجَم لهُ، وزُلفتِهِ عند حكومةِ الوقت، واتِّصاله بأولياء الأُمور وشدَّته فيما ٱئْتُمِنَ عليه ـ لم يتسنَّ لأيّ أحد التأثيرُ عليه، ونَيْلُ وَطَرِهِ من الحيفِ منه، فكانوا يحملون عليه عداءً مُحْتَدِماً.

فاتَّفق أنَّ سيِّدَنا المترجَمَ لهُ عزم على بناء رباط في سامرّاء لنزول الزوّار، وباشر الرَّجُل المذكور العملَ، وكانَ بمَقْرُبَةٍ من محلِّ الرِّباط رجلٌ من متنفّذي البلد يبني له داراً، فمنَّتْهُ نَهْمَتُهُ أن يَسْتَرِقَ من الجصِّ والآجُرِّ المجلوبَيْنِ لبناء الرّباط، وعَرفَ ذلك عبدُالحسين الحلّيّ، فشدّد في النكير والمنع، وكاشَفَهُ بالقولِ، فتغلَّظ بينهما الحوارُ حتّى أدّى إلى الملاكمة. فلاثَ بالرَّجُلِ زبانيتُهُ، وبالحلِّيّ رفاقه، وأُنهيَ النَّبأُ إلى السَّامَرِّيِّين[1] فتواثبوا على القوم، وأوسعوهم ضرباً حتّى انثالوا عنهم بعد إطلاق بندقيّة من رجلٍ من لفيف الحِلِّيِّ ممَّن لم يشهد الوقعةَ وكان على بُعْدٍ منهم، ثمّ تفرّقوا في أرجاء البلد قاصدين الشَّرَّ، وأَقلقوا السَّلام، فلزم أهلُ العلم الدُّورَ؛ لأنّهم كانوا يُهينون مَن يلقونه في الأَزِقَّة، وقتلوا رجلين من الزُّوَّارِ، وداموا على ذلك ثلاثة أيّامٍ.

هذا وسيِّدنا المجدِّد لم يُبْدِ منه أيَّ حركةٍ، ولكنْ سرعانَ ما انتشر نبأُ الكارثة في البلادِ، فماجت عشائرُ العراق موجةً واحدة، وساءت الحالةُ الزُّعماءَ وشُيُوخَ القبائلِ، ويمَّمَتْ عشائرُ «بَلَد» و«الخالص»، و«خريسان» ـ وغيرِها من نواحي بغداد ـ سامرَّاءَ، فكانت تتموَّجُ بهم.

واهتزّت الأسلاك البرقيّة إلى السلطانِ عبدالحميد العثماني، والملكِ السعيدِ

---

(١) هذه هي النسبة الصحيحة إلى سامرّا، لأنّ الأصل في سامرّا أنّه اسم غير مهموز، والنّسبة إليه سامَرِّيٌّ ـ بفتح الميم وتشديد الراء المكسورة ـ وسُرَّمَرِّيّ. وأمّا النسبة المشهورة إليها «السامرّائي» فهي من الغلط الشائع الذي لم يعرفه القدماء. راجع الأنساب للسمعاني، واللُّباب لابن الأثير وغيرهما. أحد الفضلاء.

ناصرالدين شاه القاجاري، ووقعت المخابرة بين المَلِكَين، وأُحصيت البرقيّات عند السلطان العثماني فكانت (٧٠٠) برقيّة من الأقطار الإسلاميّة يطلبون منه كَشْفَ الكَرْبِ، وإرحاضَ[١] معرَّة المُرجِفين. وكان في برقيّة أحد الزُّعماء من نواحي الحلّة ما لفظه: «عِزُّنا بك، وعِزُّك بنا، فلا تُخْرِجْنا من عِزِّ طاعتك إلى ذُلِّ معصيتكَ»، يوعز إلى العصيانِ إن لم يَكْتَسِحْ هاتيكِ المُثْلَاتِ[٢]. فصدر الأمرُ المؤكَّد منه إلى والي بغداد بدفع عاديةِ القوم، وجَلْبِ مرضاةِ سيِّدنا المجدِّد.

وقبل ذلك في اليوم الثالث جاء «مخلص أفندي» من قوّاد الجيش التركي للفحص والتنقيب، فكشَفَ الحالَ، وشاهَدَ المقتولينَ من الزُّوَّار، وعرف نوايا السَّامَرِّيِّين السَّيِّئة. فخابر الوالي «حسن باشا» بذلك، فذهبت فورةُ القوم لتهدأَ، غيرَ أنّ الوالي المذكور كان يشارك أهلَ سامرّاء في إضمار العداء لسيِّدنا المجدِّد، فبعثَ هيئة أُخرى للكَشْفِ من زبانيته ولِتُظْهِرَ خلافَ ما أبداه «مخلص أفندي»، فامتثلوا أمره. غيرَ أنّ الأَمْرَ السلطانيّ ومَوْجَةَ الناس والضَّوضاء السائدة بين الزعماء تدهورتْ بخديعتهم إلى مَدْحَرَةِ الضَّعَةِ والهَوانِ، فانكفَأُوا إلى بغداد آيسين.

وبالرَّغم من لِدادِ[٣] الوالي أَلْجَأَهُ الحُكْمُ الباتُّ بالمُثُولِ بين يَدَي المترجَم له وإقرائِهِ السلامَ من السلطان وإحفائِهِ عن طَلَبَتِهِ ليعملَ بها بأمرٍ من الملك، فردَّ

---

(١) أَرْحَضَ الثوبَ: غَسَلَهُ.

(٢) المُثْلات: جمع المُثْلَة، وهي الآفة.

(٣) اللِّداد: العناد والخصومة الشديدة.

المترجَمُ إليه السلام وقال: «أشكُرُ عواطفَ السلطان المملوكيّة، ولا طَلِبَةَ لي، ولا أبغي النَّيلَ من أيِّ أحدٍ، ولا الوقيعةَ فيه، وإنّما هي حركات جَهْلِيَّةٌ تنتهي إلى غاية».

وفي غُضُونِ المعمةِ أَمَّ سامَرّاءَ ممثِّل الدولة الإيرانيّةِ، وممثِّل الانكليز في بغداد للأخذِ بِناصِرِ سيِّدنا المجدِّد.

أمّا ممثّل الإنكليز فلم يَأْذَنْ له في الدخول عليه، ولم يَزِدْ إلحاحُهُ المتواصلُ في تحرِّي ملاقاته إلَّا شدَّةَ الامتناعِ منه، فارتجَعَ خائباً؛ لِما كان يَعْلَمُ سيِّدنا المترجَم من سُوءِ قَصدِهِ، وابتغائِهِ الفَتَّ في دُوَلِ الإسلام بين زعيمهم والسُّلْطةِ في شيءٍ من أمر الأُمّةِ بواسطةِ قائدها الرُّوحيِّ، وإلَّا فليس هو بالذي يستاء لما انتاب رئيسَ المذهب من نُوَبِ الدَّهرِ، وإنّما هو ضالّته المنشودة، والمؤتمنُ على مَناجحِ المسلمين ومصالحهم أولى الناس بأَن يرقبَ الصالحَ العامَّ. ولذلك كان لهذا الصدِّ موقعٌ كبير عند العثمانيِّين، فعرفوا منه ذلك الرأي الحازم الّذي لا يزهد في كَلاءَةِ استقلال المسلمين لغايةٍ نفسيَّة أَوْ قصدٍ شَهْوِيٍّ، وهو ذلك الشَّهمُ الواقف لِقوميَّة أهل دينه بالمرصاد حتّى في أحرجِ المآزق.

وأمّا الممثِّل الإيراني فكان يختلف إليه ويُصيخُ إلى قِيلِهِ، ويمتثل أوامره، وليس في ذلك من بأس؛ فإنّ الإيرانيَّ كان يتفاهم مع الحكومة العثمانيّة في حلِّ القضيّة كتفاهم الأخ مع أخيه، ولا طمع لأيٍّ منهما في استغلال الآخر، ولا يبغي أحدهما الاستحواذ على مملكة الآخر يومذاك، ولكلٍّ من المملكتين مَلِكٌ مسلمٌ يجمعه مع الآخر دينٌ واحدٌ.

وكان للحادثة أَثرُ استياءٍ عظيمٍ بين علماء النجف الأشرف وأهاليها، فآثرَ الرَّحيلَ إلى سامرَّاء شيخُ الطائفة الشيخ محمّد طه نجف، والعلّامة الزعيم الحاج الميرزا حسين الميرزا خليل الرازي النجفي[١]، وتبعهما لفيف من العلماء، فَمَثُلا بين يدي سيِّدنا المترجَم للنظر في الحادث الجلل، والحصولِ على ما تقتضيه الحالة، فلم يبرحا هنالك حتَّى أُزيحت المُثْلات.

وتَهَيَّأَ للهجرة إليها المحقّق الزعيم الأكبر الحاج الميرزا حبيب الله الرشتي، والعلّامة المقدّم المولى محمّد الفاضل الشرابياني[٢] المتوفّى سنة ١٣٢٢، غير أنَّ الفورة هدأت قبل مسيرهما.

ما استفاق السامرّيّون من سكرتهم إلَّا وهم بين الناب والمخلب: فإمّا التأديب العنيف من السَّاسة يتعقَّبُهُ الزَّجُّ إلى أعماقِ السجونِ، والضربِ المؤلمِ، وما لا يتحمَّلُون مُقاساته من العقوبات، وإمّا أن تَنْشَبَ بهم مخالبُ القبائلِ فتنهشهم وتدعه كحديثِ أمسِ الدَّابِرِ[٣].

أضف إلى ذلك النَّفْرَةَ العامَّة من الملأ الشِّيعيِّ، وهم يعيشون بـمَنائِحِهم[٤] ويتلمّظون بذاتِ يَدِهِمْ، ويبقى ذلك العار عليهم أَسْطُراً في صحيفةِ الدهرِ

---

(١) الشيخ الخليلي مترجم في باب المجاميع من (المجموعتين الكبيرة والصغيرة).

(٢) الشيخ الشرابياني مترجَمٌ في باب المجاميع من (قطف الزهر).

(٣) يقال للشيء إذا ذهب بلا رجعة: ذهب كأمس دابر، وهذا من التأكيد، لأنّه إذا قيل: أمس، فمعناه أنّه أدبر، قال الشاعر:

وأبي الذي ترك الملوك وجمعَهُمْ ... بصُهابَ هامدةً كأمسِ الدَّابِرِ

(٤) المنائح: جمع المنيحة، وهي العطيّة.

يتلوها المَلَوانِ[1]. فطَفِقُوا يتحرَّون الوسائلَ إلى جلبِ مرضاة الإمام المجدِّد، والإنابةِ عمَّا جنته أيديهم الأثيمة، فَلعَلَّ ذلك يرفعُ عنهم الخطرَ المحدقَ، والبلاءَ المقبلَ.

وكان في سامرّاء يومئذٍ من أشرافِ العالم الحاج مصطفى كبّة ـ وكان ممّن جاء للوقوف على القصّةِ، وكشفِ الكربِ عن وجه سيِّدنا المترجَم ـ و(علاءُ الدولة) من رجالات الدولة القاجاريّة في العهد الناصريّ، فاستشفعوا بهما، فأخذا على عاتقهما معالجة القضيّة بعد أن أخذا من رؤساء سامرّاءَ وشيوخِها العهودَ المؤكَّدة المشفوعة بالأيمان المغلَّظة على التَّسَلُّلِ عمّا اجترحوه من السَّيِّئات، ومسِّ الكراماتِ، وإقلاقِ السَّلام، وكُلِّ عملٍ يسوءُ سيِّدنا المترجَم لهُ. فأعطوا لهما ذلك، وحلفوا عليه في الحرمِ العسكريّ المقدّس، وهم: السيّد علي؛ خازن الحرم المطهَّر، ومحمّد نصيِّف، والشيخ عبّاس، وقَتُّوح وأخوه حَسُّوب، ومحمّد الحمد؛ رئيس البلديّة، ولطيف العلي أكبر، وعبدالله العابد، وصالح المهدي، فأدخلاهم على سيِّدنا المجدِّد، خاضعين منيبين، واعتذروا له وقَبَّلوا يديه ورجليه، فعفا عنهم.

هذا مجمل الواقعة، ذكرنا منها ما يناسب وضع هذه الترجمة، وإنّما قدّمناه على غيره من الوقائع المتقدِّمة عليه في التأريخ لأنّنا أردنا أن نذكره في سياق ذكر البنايات الّتي تصدّى لها سيِّدنا المترجم لهُ، لأنَّ أساس الواقعة كانت على ذلك.

* * *

(١) المَلَوانِ: اللَّيلُ والنَّهارُ، الواحدُ مَلَاْ.

[فتوى تحريم التبغ[1]]

وفي سنة ١٣٠٩ كانت واقعة تحريم «التبغ»، وذلك لمّا آبَ ناصرُالدِّين شاه من سفره الثاني إلى أُوربا، وكثر أَخْلاطٌ من الغربيِّين النـزلاءِ بـإيران، وحـصل التَّوارد بينهم وبين الأهلين من رجال الدولة، حتّى آل الأمر أنّ يهوديّاً من أَتباع الإنجليز ـ وكان يرأس إحدى «الكمپانيات»[2] عند دولته المتبوعة[3] له ـ أخذ من الشاه امتياز التبغ بأقسامه في كلِّ المملكة على أن يعطيه في كُلِّ سنة (١٢٠٠٠) ليرة عثمانيّة، عدا الجمارك والضرائب المقرَّرة.

ولمّا صدر الحكم بذلك بعث رُسُلاً إلى عامّة البلاد ليبتاعوا كُلَّ ما يجدونه من أقسام التِّبْغ في أيدي الناس لينحصرَ أمرُهُ به، وأمـر رُسُـلَهُ بـالقهر والعُـنْفِ إِنْ لم يرضَ أرباب التِّبْغ ببيعه، وأمر بجلبه إلى معمله بطهران ليختصّ به ثمّ يبيعه للإيرانيّين تدريجاً، وذلك سنة ١٣٠٨. وبطبع الحال: أنّ اليهوديّ كانت له حلقة اتّصال بمالكه الإنجليزي الّذي كان يأخذ بِناصِرِهِ في هذه المهمَّة.

---

(١) وهي المعروفة بـ«فتوى التنباك».

(٢) جمع «كمپاني»، وهي كلمة انجليزيّة يستخدمها الإيرانيّون، معناها «شَرِكَة الانتاج».

(٣) صفة للكمپانيات.

فرأى سيِّدنا المجدِّد أنّ نَهْمَةَ الاستعمارِ باعثةٌ للانكليز على ابتلاع إيران من حيث لا يعلم صاحبها، وكان التزامُ أمرِ التِّبغ التجاريِّ أوّلَ خطوة له في ذلك، وفي خَلَدِهِ أن يخطو من بعدها خطوات واسعة، على أنَّ الخطوة الأُولى كانت واسعة جدّاً؛ فإنّ التبغ من أهمّ البضائع التجاريّة في إيران وكم فيه من ثروةٍ طائلةٍ، ووَفْرٍ دافقٍ، وجِدَةٍ مُفْعَمَةٍ، وَيَسارٍ هامِرٍ، ومنافِعَ متكوّنةٍ من الاحتراف بتجارته، ولو كان مخصوصاً بالإنجليز ـ كما شاءت له نهمته ـ لخسرتِ الأُمّةُ كلَّ ذلك اليَسارِ.

أضف إلى ذلك ما كان تخسره طبقات أُخرى من استفاداتهم من تجارة التبغ بالامتهان والعمل.

ثمّ هذا المُقْعِي على مُناخِ الشَّرَهِ كانت له بطبع الحال تشبُّثاتٌ أُخرى في بَسِيط المملكة ـ من بنايات قائمةٍ في كلِّ بلدٍ، وموظَّفينَ للقيام بذلك العملِ ظاهراً، ولِبَثِّ الدعاية الإنجليزيّةِ مَعَهُ سرّاً ـ وروابطُ مؤكَّدةٌ ومُوادَّةٌ مع الأهلينَ، وصُورٌ خلّابةٌ، وطِلاءٌ مُبَهْرَجٌ يَغُرُّ السُّذَّجَ، ويجلبُ أفئدةَ الدَّهْماءِ[1]، واستخدامٌ للأَغْرارِ[2] منَ المسلمين، فيُشْرِبُ قُلُوبَهُمْ حُبَّ الكُفْرِ والكافرينَ.

وبالجملة: إنّه عمل يَشْغَلُ بنفسه كمّيّةً من نفوسِ المملكة لا يُستهانُ بها في هدمِ كيان الأُمّة بإزاء تلك القيمة الزهيدة جدّاً بالنسبة إلى هذه السِّلعةِ الثمينةِ

---

(١) الدَّهماء: عامّة الناس وسوادهم.

(٢) أَغْرارٌ: جمع غِرّ، وهو الشّابّ الّذي لا خبرة له.

الكثيرةِ، إلى غيرها من أوبئةٍ قتّالةٍ يبثُّها في الأُمّة، وسُمومٍ فَتّاكةٍ يُـدِيفُها[١] إلى المجتمع في العَسَل.

وقبلَ كُلِّ هذه ما كان يُلِمُّ بجثمان الدَّولة من ديونٍ باهضة تُعجِزُها عن أدائها إلى آخرِ نَفَسٍ تَلْفِظُهُ، فكُنّا نخسُر الدولةَ والثروةَ، والضَّبُعُ الكاسِرُ يُعطينا بِضاعَتنا المملوكةَ لنا بأيِّ ثمنٍ حَبَّذَتْهُ له بِطْنَتُهُ، ويستنزفُ ثراءَنا على ذلك، ويستفيد هو بتجارتهِ الكُبرى، وهنالكَ الخسارةُ والبوارُ، إلى غير هذه من مضارَّ يطولُ المقامُ بذكرها.

عرف سيِّدُنا المجدِّد كُلَّ ذلك، ورأى أنّ دافع الجَشَعِ يدفع ـ بإحدى الجارتين[٢] ـ إلى أن يُنْشِبَ مخالبَهُ في المحيط الإيرانيّ بأجملِ صورة بحيث لا يعلم به صاحبُ الدار، أو أنّه اضطرّه إليهِ وجهُ السِّياسة الممقُوتةِ.

والمؤتَمَنُ على نواميسِ الملّة ـ ألا وهو سيِّدُنا المجدِّدُ ـ رأى من واجبه الدينيّ والمدنيّ كَلاءَةَ صرحِ الإسلام، ومهدِ حضارتِهِ، وقاعدةِ استقلالِهِ، ومرتَكَزِ لوائه، بكبحِ جِماحِ الجارةِ القويّه وإن جَهِلَتِ الضَّئيلةُ منهما بِصالِحِها، فأخذ يراجعُ عاهل إيران بلزوم فسخ هذا الالتزام الّذي عقده مع الإنجليز بواسطة ممثِّلهم اليهودي. وكثرتِ الكُتُبُ والبرقيّاتُ المسهَبةُ بينهما وبينه، وبين الوزراءِ ورجالِ المملكة وعلماء العاصمة وزعماء البلاد الروحيِّين، وطال الشِّجارُ

---

(١) دافَ الشيءَ وأَدافه: خَلَطَهُ، أَذابه في الماء ونحوه.

(٢) روسيا والهند حيث كانت تحت الاحتلال الانجليزي، وكانت الباكستان جزءاً من الهند، وهي مجاورة لإيران.

والحِوارُ وهو واقفٌ لغايَتِهِ وقفةَ اللَّيْثِ المُهاجِ، وللحكومَتَيْنِ الإنجليزيّة والفارسيّة تَرْكاضٌ وشَدَّةٌ في الإبقاءِ على المعاهدةِ، وللأُمَّةِ آذانٌ مُصِيخَةٌ إلى آخر كلمةٍ تصدرُ منهُ.

وفي أرجاء المملكةِ ضوضاءٌ وصخبٌ في رَفْضِ ذلك النِّيرِالثَّقيل عن عواتقهم، وعن عاتقِ الدَّولة؛ لما يعلمون أَنَّها على كبرها طريقٌ لما هو أعظم منها. ومن جَرَّاءِ ذلك نُفِيَ العالم الكبير السيّد علي أكبر[1] ـ المجتهد ـ من شيراز، وَانْتهى إلى سيِّدنا المترجَم بسامرّاء وأُنهي إليه تفاصيلُ منَ الأَمر، وأُزهِقت نفوسٌ في حِمَى السيّد العظيم السيّد أحمد[2] بشيراز، إلى غير ذلك من وقائعَ لا يسعُ سردَها نطاقُ الترجمة.

هنالك لم يجد سيِّدنا المترجم لهُ بُدّاً من تحريم استعمالِ «التبغ» الباتِّ بأقسامه. وما عمَّ انتشارُ الحكم المطاع في البلاد الفارسيّة إلَّا وامتنعت الأُمّة عنه امتناعاً شديداً حتَّى في الخَلَواتِ، وحتَّى الفَسَقَةُ الَّذين ما كانوا يمتنعونَ من معاقرةِ المسكر ومباشرةِ غيره من مظاهر الفجور، وكَسَرُوا «النارجيليّات» ولَفَظُوا «السَّجائر»، وهجروا «الشُّطُوب»، وأتلفوا ما عندهم من التِّبغ، وعُطِّلت المتاجر، ووقف سوقُ التِّبغ، وبارَتْ سِلعَتُهُ، وذهب كُلُّ ما بذلته الحكومتان في هذا السَّبيل من حولٍ وطَوْلٍ أدراجَ الرِّياح.

---

(١) السيّد علي أكبر الفالي أسيري المتوفّى سنة ١٣١٩.

(٢) السيّد أحمد ابن الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام، المعروف بـ«شاه چراغ»، له مزار شريف في مدينة شيراز.

ووقف علماءُ البلادِ لإنفاذِ الحُكم وقفةً شديدةً، وبلغ نفوذه إلى حَدٍّ أَنَّ نفس الشاه طلب «نارجيلةً» ليشربها فلم يؤتَ له بها، فَلَمّا أكَّدَ الطَّلب قالت له إحدى زوجاته: إنّ الّذي حلَّلني لك قد حرَّمها، فاضطُرَّ إلى فسخِ الالتزام، وتحمَّل ما يتبعه من الخسائر.

وفي غُضُون هذه الحوادث أتاه ممثّل الدَّولة الروسيّة في بغداد وأقرأه السلام عن الإمبراطور الرُّوسي، وأبلغه عنه بذل نصرته له في هذه القضيّة، وقال: إنّه يقول: «إنْ كنتَ تريد تغيير الوزارة فأمهلني يوماً، وإن كنتَ تبغي تبديل الملوكيّة فأمهلني شهراً.

فقال له سيِّدنا المجدِّد: «أرجو من فضل المولى سبحانه أن لا يُحْوِجَنا إلى الإمبراطور». فخرج من عنده خائباً من مطامع مَلِيكِهِ المُـنْتَهِزِ فـرصةَ التشـبُّث بمملكة إيران.

ثمّ قال سيّدنا المجدِّد لبطانته الحضور: «إنَّ هذا كلبٌ غيرُ مُعَلَّمٍ، إذا أرسلناه استرسَلَ، وإذا دَعوناهُ لا يرجع».

يريد ـ قدّس سرّه ـ أنّه يبغي بهذا القولِ نيلَ أمـانيِّهِ مـن احـتلالِ المـملكةِ الإسلاميّةِ، فإذا أطلقنا سراحَهُ ونال مبتغاه وعضَّ عليها بنواجِذِه فإنّه لا يرجـع عمّا هو عليه، وإن دعوناه إلى تخلية البلاد [لم يفعل].

وكان الروسيُّ كما عرَّفَه أمينُ الأُمّة، وكم له سوابقُ في ذلك على عهد ضُؤُولةِ أمرِ إيران، ولم يكن المؤتمنُ على حفظ الملّة لِيَدَعَ الضَّبُعَ الكاسَر يُنْشِبُ أنيابه فيها وإن كان هو مخاصماً لعاهلِ البلاد في الواقعة الشخصيّة نظراً لإصلاحِ أمره،

لكنّه يبذل النَّفسَ والنَّفيسَ دون كيانه واستقلاله، وكَبْحِ عادية المرجفين عليه، ودَرْءِ كيدِ الخائنين له وللممالك الإسلاميّة جمعاء، لأنّه هو المسؤول والمُطالَبُ بذلك كما يقول سَيِّدُ السَّاسة في العالم كُلِّه السيّد جمالُ الدِّين الأفغاني[1] في كتابٍ له إليه منشورٍ في مجلّة العرفان ج٨ عدد ٢ ص ١٢٤ ـ ١٢٨ يقول:

«لقد خصّك الله بالنيابة العظمى عن الحجّة الكبرى من العصابة الحقّة، وجعل بيدك أزمّة سياسة الأُمّة بالشّريعة الغرّاء، وحراسة حقوقها بها، وصيانة قلوبها عن الزيغ والارتياب فيها، وأحالَ إليك من بين الأنامِ ـ وأنتَ وارثُ الأنبياء ـ مهامَّ أُمورٍ تَسْعَدُ بها الملّة في دارها الدُّنيا، وتَحْظَى بها في العُقبى، ووضع لك أريكةَ الرئاسةِ العامّة على الأفئدةِ والنُّهَى؛ إقامةً لدعامة العدل، وإنارةً لمحجّة الهدى، وكتب عليك ـ بما أولاك به من السيادة على خلقِهِ ـ حفظَ الحوزةِ والذَّودَ عنها، والشهادةَ دونها على سُنَنِ من مضى، وإنّ الأُمّة ـ قاصيها

---

(١) السيّد الأفغاني رجلٌ مشهور، تردّد اسمه في كتب التراجم والرجال، وكتبت عنه دراسات خاصّة تذكر خدماته للإسلام ورفع رايته، وهو من بيت علم وشرف ورئاسة في أَسد آباد همدان.

ولد سنة ١٢٥٤، وتوفّي سنة ١٣١٤. انظر نقباء البشر للإمام الطهراني ١: ٣١٠ ـ برقم (٦٤٠) لتجد الكثير من المعلومات الّتي تخصّ المترجَم لهُ.

أقول: وربّما يتوهّم البعض أنّ النداء الذي أرسله السيّد الأفغاني إلى الإمام الشيرازي هو الذي جعله يُصدِر فتوى التحريم. ولكنّ سيّدنا الأمين قدّس سرّه ـ الذي عاصر الواقعة ـ لا يرتضي هذا القول، فيقول: «ولم يكن إفتاؤه ـ أي الشّيرازي ـ بتأثير كتاب جمال الدين، ولكنَّ الناس اعتادوا إذا مالوا إلى شخصٍ أن يسندوا كلَّ وقائع العالم له». انظر أعيان الشيعة ٥: ٢١٥، وفيه فوائد كثيرة حول الموضوع.

ودانيها، وحاضرها وباديها، ووضيعها وعاليها ـ قد أذعنت لك بهذه الرئاسة السامية الربّانيّة، جاثيةً على الرُّكَبِ خارَّةً على الأذقان، تطمح نفوسُها إليك في كلِّ حادثة تعرُوها، وتُطِلُّ بصائرها عليك في كلِّ مصيبة تَمَسُّها، وهي ترى أنّ خيرها وسعدها منك، وأَنَّ فوزها ونجاتها بك، وأنَّ أمنها وأَمانها فيك، فإذا لُمِحَ منكَ غَضُّ نظرٍ، أو نأيتَ بجانبك لحظةً، وأهملتها وشأنَها لمحةً، ارتجفت أفئدتُها، وأُنْكِثَتْ عقائدُها، وزاغت أبصارُها، وآنهدَّتْ دعائمُ إيمانها.. الخ».

ثمّ طفقَ يبثُّ الشكوى من سياسةِ الوقت القاسية والفسادِ السائدِ، وبوائقِ رئيس الوزارة، يقول في ذلك:

«ثمّ إنّه باع الجزءَ الأعظمَ من البلاد الإيرانيّة ومنافعها لأعداء الدين؛ المعادنَ والسُّبُلَ الموصلةَ إليها، والطُّرُقَ الجامعةَ بينها وبين تخوم البلاد، والخاناتِ التي تُبنى على جوانب تلك المسالك الشاسعة التي تتشعّب فروعُها إلى جميع أرجاء المملكة، وما يحيط بها من البساتين والحقول: نهر كارون والفنادق التي تُنْشأُ على ضفَّتيه إلى المنبع، وما يستتبعها من الجنائن والمروج والجادّة من الأهواز إلى طهران، وما على أطرافها من العمران والفنادق والبساتين والحقول، والتِّنباك[1] وما يتبعه من المراكز ومحلّات الحرث وبيوت المستحفظين والحاملين والبائعين؛ أَنّى وُجِدَ، وحيث نَبَتَ، وحِكْر العنب للخمور

(١) التنباك: نوعٌ من التُّبُوغ كان شائعاً في إيران في القرن التاسع عشر؛ إذ كان يوضع في النرجيلة لتدخينه، ولم يكن الإيرانيون قد عرفوا السيكارة بعد. (علي الوردي في لمحاته ج٣ص٩٢)

وما يستلزمه من الحوانيت والمعامل والمصانع في جميع أقطار البلاد، والصَّابُون والشمع والسُّكَّر ولوازمها من المعامل.. الخ».

كان الناجزُ فِعْلاً من هذه المتاجرِ البائرةِ أَمْرَ التِّنباكِ الّذي ذكرنا نُبَذاً من قِصَّته وأشارَ الأفغانيُّ إليه، فثبت لإزاحته سيِّدنا المجدِّد ثباتَ اللَّيث الصَّؤُول، حتّى اكتَسَحَ معرَّتَهُ والويلاتِ النازلة بالأُمّةِ مِن جرَّائِهِ، حتَّى كان «آخرُ الدَّواءِ الكيّ»[1]؛ تحريم استعمال التِّبْغ بتاتاً. ولفظُ الحكم الصادر هكذا بالفارسيّة:

«بسم الله الرحمن الرحيم: اليوم استعمال توتون بأيّ نحوٍ كانَ در حكم محاربه با امام زمان عجّل الله فرجه است»[2].

حرّره الأحقر محمّد حسن الحسيني

وكان تاريخه في غُرّة جمادى الأُولى سنة ١٣٠٩.

ثمّ سُئل عن صحّه نسبة الحكم إليه وعن بَقاء التحريم وارتفاعه على فَرْضِ إلغاء الامتياز المذكور، فكتب قدّس سرّه:

«بسم الله الرحمن الرحيم: بلى صحيح است و سؤالى كه از بقاء حكم بر تقدير رفع امتياز شده جواب اين است كه بر تقدير رفع از اين جهت منعى

---

(١) مَثَلٌ عربيٌّ يضربُ في الأمرِ إذا تفاقم ولم يمكن علاجه إلّا بأشدِّ الأشياء. انظر المستقصى في أمثال العرب ١: ٣/المثل ٤.

(٢) ترجمته بالعربيّة: «بسم الله الرحمن الرحيم، استعمال التِّبغ اليوم بأيّ نحو كان هو بحُكْمِ محاربة إمام الزمان عجّل الله فَرَجَهُ».

ندارد والله تعالى العالم»[١].

حرّره الأحقر محمّد حسن الحسيني

وتاريخه: الثلاثاء ٢٥ ج٢ سنة ١٣٠٩.

وكان هذا السؤالُ والجوابُ بعد إلغاء الامتياز، وتردُّدِ الناس في بقاء الحكم وعدمه، فبمحضِ وصولِهِ إلى العاصمة ارتفع الحرجُ عن استعمالِ أقسام التِّبغ، وبُثَّ النبأُ إلى أرجاء المملكة فرُفِعَ الحَظْرُ، وسكنتِ الأُمّة، وهدأتِ الفورة، وقَضَى الحُكْمُ النَّاجِعُ والنُّفُوذُ الدينيُّ على بقيّة الهنابِثِ[٢] الّتي أوعزَ إليها السيّد الأفغانيُّ في كتابه، وتلا سيِّدنا المُجدِّد في صحيفةٍ من كتاب مجدِهِ على العالَم كُلِّه: أنَّ رجلاً روحيّاً أعزلَ يتسنّى له أن يُجابِهَ أقوى العوامل الساحقةِ، ويسحقَ بأَخمص الحقِّ باطل القوى الفعَّالة، وأَنَّ لمحيط الإسلام حِمًى ورِدْءاً يأخذ بناصِرِه إذا خارت العزائم وتضاءلت القوى، لا يَذَرُ ثَوَّارةَ الشَّرَةِ تتلاعبُ بأزِمَّتِهِ بِخَفْرِ ذِمَّتِهِ، وتُزجي بالأُمّة إلى هُوَّةِ الذُّلِّ ومُناخ الصَّغَارِ مهما ناطحتهُ قُنَنُ الجِبالِ[٣]، وبُهَمُ الرِّجالِ، وكافَحَهُ الحَشْدُ اللُّهامُ، والجَيشُ العَرمرمُ.

نعم، متى كانت لكلمةِ القائل صِلةٌ ببارئِ القُوى بَراها، فلا يقوى لها دافعٌ، وتَدْحَرُ دُونَها المُناضِلَ.

---

(١) ترجمته بالعربيّة: «نعم صحيح، والسُّؤال عن بقاء الحُكم على تقدير إلغاء الامتياز، جوابه أنّه على تقدير إلغاء الامتياز فلا مَنْعَ، والله العالم».

(٢) الهَنابِثُ: الدَّواهي.

(٣) قنن الجبال: قِمَمُها.

وهكذا كانت كلمةُ سيِّدنا المجدِّد في كلِّ مشكلةٍ حَلَّها، أو نائبة على أُمَّته أَزاحها، فكانت تخضعُ له الملوكُ والسُّوقَةُ، كما قال الفاضل الشريف السيّد جعفر الحلّي في قصيدة يمدحه بها بعد انتهاء قضيّة التِّبغ:

[من البسيط]

مُرْ وآنْهَ وآحْكُمْ فأَنتَ اليَوْمَ مُـمْتَثَلُ ... وَالأَمْـرُ أَمْـرُكَ لا مـا تَأْمُـرُ الدُّوَلُ

عَنْكَ المُلُوكَ آنْثَنَوا عَجْزاً وما عَلِمُوا ... أَأَنْتَ زِدْتَ عُـلُوّاً أَمْ هُـمُ سَـفُلُوا

نَجاةُ ذي التَّاجِ أَن يُـعْطِيكَ مِـقْوَدَهُ ... لِأُمِّـهِ إِن عَـصاكَ الثُّكْـلُ والهَـبَلُ

يا حاكِماً لم نَـخَفْ عَـزْلاً لِـمَنْصَبِهِ ... لٰكِـنْ مَـتَى شاءَ فـالحُكَّامُ تَـنْعَزِلُ

إلى أن يقول فيها:

الدَّولَـةُ اليَـوْمَ فـي أَبْـناءِ فـاطِمَةٍ ... بُشْـرَى فَـقَد رَجَـعَتْ أَيّـامُنا الأُوَلُ

بِسُـرَّ مَـنْ را إِمـامُ العَـصْرِ مُـحْتَجِبٌ ... هُـوَ المُـدَبِّرُ أَمْـرَ النّـاسِ لَـو عَـقَلُوا

ويقول فيها:

إِذا كِـتابٌ كَـرِيمٌ مِـن عِـنايَتِهِ ... أَتَـى المُـلُوكَ مَـحَتْهُ مِـنْهُمُ القُـبَلُ

بَـعضٌ يُـطِيعُ لَـهُ حُـبّاً لِـطاعَتِهِ ... وبَعْضُهُم مُكرَهٌ في الأَمْرِ لا بَطَلُ[1][2]

هذه الحادثة من أهمّ الحوادثِ التاريخيّة التي يرنُّ صداها في المسامع إلى

---

(١) انظر ديوان السيّد جعفر الحلّي: ٣٩١ـ٣٩٢.

(٢) يشير السيّد رحمه الله تعالى إلى المثل العربي القديم المذكور في كتب الأمثال وشواهد النحاة: (مكره أخاك لا بطل) وقولهم في هذا المثل (أخاك) مع أنّ حقّه الرفع بالواو، لمجيئه على بعض لغات العرب الذين يلزمون الألف في الأسماء الخمسة والمُثنّى في الأحوال الثلاثة. بعض الفضلاء.

الوقت الحاضر، وإفاضةُ القول في تفاصيلها والحوادثِ الواقعةِ حولَها ـ والتدابيرِ المأخوذةِ فيها، والكُتُبِ والبرقيّات المُطْرَقَة عندها، ونتائِجها في المجتمع الدينيّ والمدني ـ تستدعي تأليف كتاب «ضخم».

وقد كتب عنها غيرُ واحد، وأوفى ما كُتِبَ وأجمعُها للفوائد كتابُ العلّامة الشيخ حسن الإصفهاني ـ الشهير بالكربلائي، من تلمذة سيّدنا المترجَم لهُ، المنوَّه باسمه في أوليات هذه الترجمة ـ فقد جمع فأوعى، وأدّى حقَّ المقام، وهو من أهمِّ الآثار، وأنفس الذخائر التاريخيّة، ولا يزال مخطوطاً[1].[2]

---

(١) وهو باللغة الفارسيّة ولم يطبع، وربّما طبع ما يشبه هذا الكتاب وعندي نسخة منه بخطّ والدي السيّد محمّد رحمه الله. (المحقق).

(٢) يقول سيّدنا الأمين في أعيان الشيعة في ترجمة السيّد الشيرازي الكبير ج٥ ص٣٠٦ من الطبعة الجديدة في «فسخ امتياز الدُّخان»:

«سلطان الدين أقوى من كلّ سلطان»

... سنة ١٣٠٩ أعطى الشاه ناصرالدين القاجاري امتياز حصر التوتن والتنباك لشركة انجليزيّة، فشاعَ أنَّ المترجَم لهُ أفتى بتحريم التدخين بهما، ولابدّ أن يكون أفتى بذلك وإن كانت صورة الفتوى لم تنشر بين الناس، فترك جميع أهل إيران التدخين، وكُسِرت كُلّ «نارجيلة»، وكُلّ آلة تستعمل للتدخين في بلاد إيران، حتّى إنّ نساء قصر الشاه كَسَرْنَ كُلَّ نارجيلة في القصر، والشاهُ لا يعلم بذلك. فطلب من خادمه إصلاح نارجيلة والإتيان بها على العادة، فذهب الخادم وعاد، وأبطأ حضور النارجيلة، فأمره بإحضارها، فذهب وعاد بدونها، حتّى فعل ذلك ثلاث مرّات. وفي المرّة الثالثة غضب الشّاه وانتهره، فأجابه الخادم: عفواً لم يبق في القصر نارجيلة واحدة، وكُلُّها كَسَرها الخانُمات [أي نساء الشاه] وقلن: إنّ الميرزا الشيرازي حرّم التدخين.

[حكم السيّد بفسخ بيع أراضٍ إيرانيّة إلى دولة روسيا]

ومن الحوادث المهمّة على عهد الرئاسة الكبرى: أنّ الدولة الروسيّة البائدة ـ المحاددة لإيران من مناحٍ شَتّى، الفاغرة فمَها كلَّ حين لِأَنْ تتهنّأ بها أَكلةً طيِّبة

➲ وحتّى إنّ بعض الفسقة كانوا في المقهى، فكسروا نارجيلاتهم لمّا سمعوا أنّ الميرزا حرّم التدخين. فقال لهم بعض الجالسين: أنتم ترتكبون كُلّ منكر، ولا تتورّعون عن محرّم، وتفعلون هذا لأنّكم سمعتم أنّ الميرزا حرّم التدخين ؟!

فقالوا: إنّنا نفعل المعاصي ولنا أَمَلٌ بالرسول وآل بيته أن يشفعوا لنا إلى الله تعالى في غفران ذنوبنا، والميرزا اليوم هو نائبهم وحامي شرعهم ومؤدّيه إلى الناس، فنحن نأمل أن يشفع لنا عندهم، فإذا أغضبناه فمن الذي يشفع لنا ؟!

وهكذا ترك عشرون مليوناً في إيران التدخينَ عَمَلاً بأمر الميرزا الشيرازي؛ لأنّه بلغهم أنّه حَرَّم التدخين.

فاضطُرَّ الشاه إلى فَسْخ الامتياز مع الشركة الإنجليزيّة ودَفْع ما خسرته بسبب ذلك.

فقايس بين هذا وبين ما جرى للدولة الفرنسيّة حين أرادت تجديد امتياز حصر الدخان في سوريا ولبنان، وساء ذلك البطريرك الماروني في لبنان ـ وعلاقتُهُ بالفرنسيّين وثيقةٌ ـ فأرسل برقيّة من فلسطين التي هي تحت الانتداب الإنجليزي إلى دولة فرنسا يطلب فيها عدم تجديد الامتياز ـ ولم يستطع إرسالها من سوريا أو لبنان اللَّذَين كانا تحت الانتداب الفرنسي ـ لكنّ الفرنسيّين لم يلتفتوا إلى ذلك ومضوا في تجديد امتيازهم.

على حين غَفْلةٍ من أهاليها أو عاهِل بلادها، فهي تنتهز الفُرَص في الفَيْنَةِ بعدَ الأُخرى ـ حبَّذَتْ لها نَهْمَتُها أن تبتاع في نواحي خراسان المقدّسة أراضي مترامية الأطراف، ليكون لها بها تشبُّثٌ وَظُفْرٌ ناشبٌ. وبطبيعةِ الحالِ كانت تُشَيِّدُ فيها البنايات الفخمة، ثمّ لا يُدرَى ماذا تُقِلُّ هي من عُدَّةٍ وعِتادٍ، وماذا يدبَّرُ فيها من النكاية في الأُمّة والكيد لها، وماذا يختلف إلى اللَّفِيفِ الروسيِّ هنالك، ويأتلفُ معه من خَوَنَةِ البلاد ممّن «يُسِرُّ عليها حَسْواً في آرْتِغاءٍ»[١]، وما يُجلَبُ إليها من المملكة الروسيّة مع قرب جوارها من تلكم البقاع؟ ومتى يَثِبُ الرُّوسي لتلافي ما فاته إبَّانَ قُوَّة إيران على العهد الصفويّ، والنادري، والزَّندِي، وردحاً طويلاً من عهد القاجاريّين؟ أو للحصول على ما منّته هواجِسُهُ منذ معاهدة «تركمان چاي»[٢] بعد أن تمكّن من الرَّبْضِ بهاتيك الأراضي، إلى غيرها من أخطار مترقَّبة على العرشِ الإسلامي.

عرف كلَّ ذلك سيِّدنا المجدِّد، فأصدر أمراً هو فوق السياسة، وحُكْماً مقدَّماً

---

(١) «يُسِرُّ حسواً في ارتغاءٍ»، مَثَلٌ عربي، يُضرب لمن يُظهِرُ أمراً وهو يبطن ويفعل أمراً آخر. انظر لسان العرب ١٤: ٣٣٠ مادّة «رغو».

(٢) معاهدة «تركمان چاي» كانت في سنة ١٢٤٣ قمري و١٨٢٨ ميلادي بين دولة ايران في عهد السلطان فتح علي شاه القاجاري ودولة روسيا القيصريّة وقد أمضاها ووقّع عليها عبّاس الميرزا ابن السلطان القاجاري و«ژان ياسكيه ويچ» القائد العسكري الروسيّ، وكانت هذه المعاهدة المشؤومة هي إعطاء المصونيّة القضائيّة لأتباع روسيا في إيران، وقد حمَّلت هذه المعاهدة إيران خسائر فادحة. انظر التاريخ السياسي المعاصر لإيران ج١ ص٤١.

على القانون ـ بفسخ المبايعة، وردّ الكائد مع خيبته، وقد أخفقت ظنونُهُ، وأَكْدَتْ مساعيه، وخسرت صفقته.

قال الشريف الحلّيّ:

[من البسيط]

ما الرُّوسُ والفُرْسُ يَوْماً كابْنِ فاطِمَةٍ ... وَلا كَمِلَّتِهِ الأَدْيانُ والمِلَلُ

وكَمْ لَهُ مِن يَدٍ في الدِّينِ يَشْكُرُها ... بِها تَحَدَّثَتِ الرُّكْبانُ والإِبِلُ[1]

* * *

(١) ديوان السيّد جعفر الحلّي: ٣٩٢.

[مساعي أُخرى لسيّدنا المجدِّد]

ولسيّدنا المجدِّد مساعٍ مشكورةٌ كبيرةٌ وراء نواميس الدين، وكيان المسلمين:

منها: كشفه الكرب عن شيعة أَفغان، وقد وقع عليهم القتل الذريع من ساسةِ بلادهم القُساة، ومالِكها المباين لهم الأهواء والنزعات.

ومنها: حديث اليهود بهَمَدَان، ونهب «جهار محلّة»، وغيرها من وقائع مهمّة وقف فيها أمام السياسة القاسية، وسعى وراءَ صالح البلاد والعباد، وما يشبهها ممّا يعرّفنا أنّ المترجَمَ لم يكن بطلَ علمٍ شغله التحقيقُ فيه عن غيره، أو رجلَ تقوى لا يعرف غير النسك والعبادة، أو خِدْنَ وَداعَةٍ لا تثيره المثُلات، أو رَبَّ سياسة لا يهمُّه العلم والدين، أو صاحبَ عُزلة لا يهتمّ بأمر أُمّته، أو إِلْفَ تهذيبٍ لا يروقُهُ إلّا السلوك والمحاسبة، وإنّما هو المثل الأعلى من كلّ تلكم الفضائل؛ تحلّى من كلٍّ منها بما يُرْبِي به إلى أوجِ العظمة بمفرده، وينيله النَّصيب الأَوفى من البطولة بمجرَّده، فكيف وهو مُلتَقَى تلك الأبحر، ومجتَمَعُ هاتيك المآثر؟

لا يرضيه إلّا الخيرُ كلُّهُ، والسلامُ بأجمعه، والصَّلاحُ العامُّ، والمعروفُ

الشامل، والمثابرة والجهاد لإيقاف الأُمّة عليها، وذَوْدِ الشُّرُورِ عنها والأَسواءِ[١]، والسُّلوكِ بها في المحجّة البيضاء، والسَّنَنِ اللَّاحب، وحفظِ كيانها واستقلالِها عن عاديةِ المُرجفينَ، وسَطَواتِ مُهَمْلِجي[٢] نَهْمَةِ الاستعمار، وكَلاءةِ نواميسها عن الابتذالِ، وموازِينِها عن الاختلالِ، وأنظمتِها عن الفَوْضَى، ومقدَّساتِها عن الانتهاك، وأخلاقِها عن الفسادِ، ونفوسِها عن الرَّذائِلِ، ودينِها عن الشُّبَهِ، ويقينِها عن الوَساوِسِ، وصَفْوِها عن الأكْدارِ، وشملِها عن التَّبدُّدِ، وجمعها عن التفرُّقِ.

كلُّ ذلك بعلمٍ منه ناجعٍ، وعقلٍ وافرٍ، وبصيرةٍ ثاقبةٍ، وإرادةٍ قويّةٍ، وهِمَّةٍ قَعْساءَ، وعملٍ بارٍّ، وجهادٍ متواصلٍ، وعزيمةٍ ماضيةٍ، ونفسٍ أَبيَّةٍ، وأَنْفٍ حَمِيٍّ، إلى غيرها ممّا أعاد به للمجد الهاشميِّ جِدَّتَهُ، وللبيت العلويّ فخرَهُ، ولآلِ محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم عِزَّهُمُ الغابرَ، وللموقفِ الدِّينيِّ بَذَخَهُ، وللمسلمينَ نَخْوَتَهُمْ.

---

(١) الأَسواءُ: جمع السُّوءِ.

(٢) أي مروِّجي ومُسَهِّلي، يقال: أمرٌ مُهَمْلَجٌ، أي مُسَهَّلٌ ومُذَلَّلٌ.

[مقارنة بين مرجعيّة المجدِّد ومن كان قبله]

المتقلّدون للزّعامة العامّة كثيرون، خدموا الدّين والبلاد، كآية الله العلّامة الحلّيّ[1]، وشيخنا المروِّج الكركي[2]، والعلّامة المجدِّد المجلسيّ[3]، وحجَّة

---

(١) العلّامة الحسن بن يوسف بن مطهّر الحلّيّ، يتحيّر الإنسان عندما يقف أمام أمثال هؤلاء الأفذاذ النوابغ، ولا يدري من أيٍّ باب يدخل ليعطي صورة متكاملة عن معالم شخصيّاتهم النادرة، ومن هؤلاء نابغة الآفاق، والعلّامة على الإطلاق، شيخنا العلّامة الحلّيّ قدّس سرّه.

راجع كتب التراجم والطبقات لتجد الكثير ممّا قيل في حقّه، وحسبك منها أعيان الشيعة لسيّدنا الأمين قدّس سرّه.

(٢) الشيخ الكركي، عليّ بن الحسين بن عبدالعالي العاملي الكركيّ، المعروف بالمحقّق الثاني، والمحقّق الكركيّ.

هو نادرة الزمان، ويتيمة الأوان؛ كما في إجازة الشهيد الثاني. وفي «الأمل»: أمرُهُ في الثقة والعلم والفضل وجلالة القدر وعِظَم الشأن وكثرة التحقيق، أشهر من أن يذكر. وفي روضات الجنّات: شأنه أجلى من أن يحتاج إلى البيان، وفضله أوضحُ من أن يقام عليه البرهان، وكانت وفاته سنة ٩٤٠.

أقول: والحديث عنه طويل، راجع أعيان الشيعة ٨: ٢٠٨.

(٣) الشيخ المجلسي، محمّد باقر بن محمّد تقي المجلسي، صاحب بحار الأنوار، أجمع

الإسلام الإصفهاني[١] وغيرهم، غير أنّ أُولئك الزعماء كانوا في مباءات هي مراكز للشيعة، ومالِكُ البلاد منهم، وهو المتصدّي لإقامة أمر العلماءِ وخصوصِ المذكورين منهم.

فإنّ آية الله الحلّيّ ـ قدّس سرّه ـ وإن قاسى ما قاساه في بَدْءِ الأمر، غيرَ أنَّ الشاه «خدابنده» لمّا استبصر بفضل حُجَجِهِ وبراهينه، كان المساعدَ له بطبيعةِ الحال على مهامّه من الدعاية والتبليغ، والهداية والتهذيب.

وشيخنا المُروِّج كان على العهدِ الصفويّ النَّيِّر، وإنّ الشاه «طهماسب» هو الذي طلب مقدمه إلى بلاده، فقدم ومعه لفيفٌ من تلاميذه، ففرّقهم على البلاد، وكان الشاه أطوعَ له من الظِّلِّ لذِيهِ، وهو القائمُ بشُؤُونِهِ والدِّفاعِ عنهُ، وتسهيلِ وسائل العمل له، فأَسَّسَ وشَيَّدَ، وهَدَى وأَرْشَدَ.

وكذلك شيخنا المجدِّد المجلسيّ ـ قدّس سرّه ـ كان السَّلاطين الصّفويّون يقتفون أثره ويُقدّسونَ موقفَهُ، ولا يُعْوِزُهُ مع ذلك أمرٌ يريدُهُ، أو حاجةٌ يقتضيها.

وسيِّدنا حجّة الإسلام الإصفهاني[٢] ـ قدّس سرّه ـ لمّا خضعت له البلاد، ورجعت إليه الشيعة في أقطار الدنيا، حَشَدَتْ له الحالةُ جنوداً مجنَّدَةً، على حين أنَّ المسيطر على إيران يومئذ هو الملك السعيد «محمّد شاه القاجار»، وهو أيضاً

➲ العلماء على جلالة قدره، وتضلّعه من العلوم العقليّة والنقليّة والحديث والرجال والأدب، والسابِرُ لكتب التراجم جِدُّ عليمٍ بأنّه من أكابر الرجال، وفي القمّة من أعاظم الطائفة.

(١) هو المعروف بـ«حجّة الإسلام الشفتي»، وقد تقدّم ذكره.

(٢) الشفتي.

من أبناءِ نِحلته، وقد وَرِثَ من سلفه الشيعيّ تقديرَ العلماء والبُخُوعَ لهم، فأقام السيّد بذلك الحُدودَ، واقتصَّ مِن القاتل، وقطعَ السارقَ، وقَوَّمَ الأَوَدَ، وأوضَحَ النَّهْجَ.

كلُّ هؤلاء كانوا في ظروفٍ هادئةٍ، وأجواءٍ صافيةٍ، والسِّياسةُ الزَّمنيَّةُ توافق آراءَهم، ومجاري الأُمور لا تُعاكِسُ أفكارَهُم غالباً.

لكنّ سيّدنا المجدِّد كان في مَباءةٍ مباينَةٍ له في الميول، مناقِضَةٍ له في الأهواء، ألا وَهيَ سامرّاءُ، والمحيط الّذي اتّخذه قاعدةً لرئاسته ـ وهو العراق ـ كان يملكه العثمانيّون، وحالُهُم في النَّزَعات والمذاهب معلومةٌ لأيِّ باحثٍ.

فالقوى العسكريّة والمَلَكِيَّةُ المُسيطرة على البلاد كانت على غير ما يرتئيه ويرتضيه، ومليكُ إيرانَ كان قد تضطرُّهُ السياسةُ الحاضرة بالمخالفةِ وإن لم يتمكَّن منها كما في قضيَّةِ «التِّبْغ»، وجاراتُ الدُّولِ الإسلاميّةِ كانت تَصِرُّ[1] أَنيابُها كُلَّ حين لتنتهشَ جثمانَ مجتمعِ الإسلامِ، وتُسقِطَ مُلُوكَها، وتَذْهَبَ بنفوذِ زُعمائِها، ولأَجْلِ ما تمنّيهم به الهواجسُ يعملونَ كُلَّ مكرٍ وخِداعٍ، فيُقْلِقُونَ الظُّرُوفَ، ويُعَكِّرُونَ الصَّفوَ، فيَعِدُونَ ويُمَنُّونَ، ويُطعِمُونَ ويَهَبُونَ ويُغْرُونَ ويَغُشُّونَ.

وسيِّدنا المجدِّد ـ قُدّس سرّه ـ بينَ تلكمُ المُلِمَّاتِ الكارثةِ ـ سياجُ عَظَمةِ الدِّين، وحِمى أَمنِ الأُمَّة، يَكْبَحُ من هذا جِماحَهُ، ويَرُدُّ من هذا عادِيَتَهُ، ويُناطِحُ الفِتَنَ، ويُكاشِفُ أهلَها، وعيناهُ ساهرتانِ في حِياطَةِ قومِهِ، والذَّبِّ عن كِيانِهِم،

---

(١) صَرَّ الشيءُ يَصِرُّ صَرّاً وصريراً: صَوَّتَ.

واستقلالِهم، وعَرَفَهُ من عَرَفَهُ ذلك المكافِحَ دُونَ شِرْعَةِ جدِّهِ الأمينِ، والذَّابَّ عن كتابِهِ المبينِ، والمُدافعَ عن بيضةِ المسلمينَ، لا يُداهِنُ عَدُوّاً، ولا يُصانِعُ متزِّلفاً إليه بِمَلَقٍ، ومُسْتَغِشّاً في صورةِ ناصحٍ، ينظر إلى الأُمورِ نَظَرَ مُسْتَشِفٍّ للحقائقِ، فكأنَّهُ ينظرُ إلى المغيَّبِ من وراءِ سَتْرٍ رَقيقٍ.

فبطبع الحالِ كانَ من هو كمِثلِهِ تكثُرُ أضدادُهُ ومُدافِعُوهُ عن مَقامِهِ، كما أنّه تكثر الدَّسائِسُ حولَ نفوذِهِ، والمُثَبِّطُونَ عن إنفاذِ أَوامرِهِ.

لكنّه بالرغم من هاتيك كلِّها يخطُو كلَّ حينٍ إلى الأَمام بخطواتٍ واسعةٍ، حتّى تَسَنَّمَ ذِروةً لا تَرقى إليها السَّلالمُ، ولا تَقْرَبُ إليها الوَسائِلُ، ولا سَبَقَهُ إليها أَحدٌ من زُعماءِ الدِّين، ولا حَظِيَ بمثلها عالمٌ من عُلماءِ المسلمين. فهذَّبَ وأَدَّبَ، وربَّى العلماءَ، وعلَّمَ المجتهدينَ، وخرَّج المحقّقينَ، ونافحَ أَعداءَ الدِّينِ، وأزاح عنه كيدَ الخائنينَ، وكَلأَ الجميعَ بلُبٍّ راجِحٍ، ونظرٍ ثاقبٍ، وحُكْمٍ نافِذٍ، وجاهٍ عريضٍ، وجَأْشٍ طامِنٍ[1]، لا يُولي الأَمرَ رأياً فَطِيراً، ولا يُنيلُهُ عَملاً مُخدَجاً[2]، ولا يُباشره بفِكرٍ ضئيلٍ، فَهُوَ كما قلتُ للكتابةِ على صورته «الفوتوغرافية» الكريمةِ المأخوذةِ ممّا نُشِرَ في مجلّة «أُلُسّ تراسيون» الباريسيّة.

[من الكامل]

هـذا الَّـذِي عَـرَفَتْهُ هُـلَّاكُ الوَرَى بَـطلاً يُـناضِلُ عَـن شَـرِيعَةِ أَحْـمَدِ

---

(١) أي ساكن مطمئن، وقد أخذه من قول الزهراء عليها السلام: «فهلّا لكم الويلات إذ كرهتمونا تركتمونا والسيفُ مَشيمٌ والجأشُ طامنٌ». انظر الاحتجاج ٢: ٢٤.

(٢) مُخْدَج: ناقصٌ.

غَوثُ الهُدَى حَتْفُ العِدَى وَبْلُ السَّدَى[١] بَحْرُ النَّدَى مِصْباحُ مُبْتَلَجِ النَّدِي

ناوا[٢] المُلُوكَ فكانَ دُونَ نَجاحِهِمْ نُجْحُ ابنِ فاطِمَةَ الأَغَرِّ الأَصْيَدِ

وعَنَى لَهُ مِنْ قَبْلُ قَيْصَرُ مِثْلَما قَدْ خَرَّ كِسْرَى لِلجِرانِ ولِلْيَدِ

لا بِدْعَ أَنْ رَضَخَتْ لِسُؤْدَدِهِ فَما عَنَتِ الوُجُوهُ لِغَيْرِ شِبْلِ مُحَمَّدِ

مِن مُنْقِذٍ والشَّعْبُ يَرْزَحُ لِلرَّدَى في نِيْرِ عاتٍ في مَخائِلِهِ رَدِي

إلى آخر المقطوعة[٣].

---

(١) السَّدَى: النَّدى، والمعروف.

(٢) مخفّفة ناوَأَ، بمعنى فاخَرَ وعارَضَ وعادَى.

(٣) البقيّة في ديوان جَدِّنا المؤلّف قدّس سرّه كما سيأتي.

[التجاءُ الناس إليه في الملمّات]

فكان الناسُ يستصرخونه لكلّ مُلِمَّةٍ، ويهتفون به عند النَّوائبِ، فيَجِدون عنده مَنجاةً من المكروه، ومَثْراةً من الفقرِ، ومَنْسَاةً لِلهَمِّ، وإغاثةً للملهوفِ، وإجارةً للمُستجيرِ، كما كانوا يجدونَ عنده بحراً من العلم متدفّقاً، وروضةً من الخُلُقِ الكريمِ غَنّاءَ، وأَحلاماً دُونها الشُّمُّ الأَخاشِيبُ[1]، وكرماً يهزأُ بالغَمامِ الهاطلِ، فلا يَرَوْنَهُ إلَّا المُصْلِحَ الوحيدَ لأمرِ الأُمّة.

ولقد أتاهُ رسولُ الأحزاب الدُّستوريّة بإيرانَ ـ يوم كانت الحكومةُ «دكتاتوريّة» ـ يستمدّه على مقصدهم من قَلْبِ السِّياسةِ الوضعيّة الحاضرة، لكنَّ سيِّدنا المجدِّد لمّا استحفى خبرَ القوم عرف المغزى من تلك البِعْثَةِ، ومُسْتَقَى الأحزاب في مبادئِهم، وفُقدانَهُمْ حِنْكَةَ الأمرِ. فلا يكادُ إلَّا أن يكونَ في مُنتَهى إقدامِهم أَوْ مَعَهُ مُهْراقُ دماءٍ، ومَزاهِقُ أنفُسٍ، ومُنْتَهَكُ أعراضٍ وأموالٍ، وأنْ تغْتَنِمَ فرصةَ الفَوضى والحُروب الداخليّةِ الطاحنةِ الجارتان ـ الجنوبيّة والشّماليّة[2] ـ فيظهَرُ

---

(١) الأخاشيبُ: جمع الأَخْشَب، وهو الجبل الخشن العظيم.

(٢) من الشمال روسيا، ومن الجنوب الهند.

الغدرُ المتغلغلُ في صدورهما منذ أحقابٍ متطاولةٍ. فشدَّدَ ـ قدّس سرّه ـ النَّكيرَ على رسولِ القومِ من مَقْدَمِهِ، وحرَّج عليه إلَّا أن يَؤُوبَ إلى إيران من سامرّاءَ قبل أن يزورَ كربلاءَ المشرَّفةَ، والنَّجفَ الأشرفَ؛ خَشْيةً أن يلتقيَ بأحدٍ فيها ويستنجِدهُ على مقصدِ أصحابِهِ.

حكى هذه القصّة غيرُ واحدٍ ممّن أدرك ذلك العهد الذهبيّ من الثِّقات، منهم العلّامة الفقيه الأوحد مثالُ الورع والتقوى الحاج الشيخ علي القُمّي النَّجفي[1].

ولتحليل القصَّةِ بسطٌ لا أجد مَسْرَحاً للاسترسال فيه، غير أنِّي أقول: إنّ للظروف والأحوالِ أحكاماً لا يُقاس شيء منها بالآخر، ولكُلٍّ من المباءات خاصَّةٌ لا تُوجَدُ في غيره.

* * *

(١) هو الفقيه الزّاهد، مثال الورع والتقوىٰ والزهد، الشيخ علي ابن الفقيه الشيخ إبراهيم القمّي النجفي، المولود سنة ١٢٨٣، والمتوفّى في ليلة الأربعاء الثاني والعشرين من جُمادى الثانية سنة ١٣٧١ في النجف الأشرف. انظر نقباء البشر ٤: ١٣٢٣ ـ الترجمة (١٨٥٩).

[المجدِّدُونَ]

تكرّر في النبويّات ما يُعزى إلى نبيّنا الأعظم ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ من قوله: «إنَّ الله يبعث لهذه الأُمّة على رأس كلّ مائة سنة مَن يُجدِّدُ أمرَ دينِها»[1].

سبق منّا بيان ضافٍ لحصر حلقات التبليغ وأدواره في ثلاث: دور النبوّات وفيه حلقة التشريع. و دور الخلافة: وفيه حلقة التفسير والبيان. ودور النّيابة: وفيه حلقة النَّقْل والاستنباط.

فالأوّل في هذه الأُمّة للنبيّ الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم.

والثاني: لأئمّة الدين الاثني عشر عليهم السلام.

والثالث: لعلماء الدين الأعلام.

ولقد أعطينا البيان حقّه في ترتيب هذه الأدوارِ ووجهِ الحاجةِ إليها في مقالٍ آخر في ذي قبل[2] وقلنا هنالك: إنّ أَمَدَ الخلافةِ لا انقضاءَ له عندنا؛ لوجوب

---

(١) كنز العمّال ١٢: ١٩٣/ح٣٤٦٢٣، سنن أبي داود ٢: ٣١١/ح٤٢٩١، المستدرك على الصحيحين ٤: ٥٢٢.

(٢) ذكر تحت عنوان: «أبحاث إسلاميّة» باسم «العناية بالبشر» في الجزء الأوّل من هذه الموسوعة.

وجود الحجّة في كلِّ عصرٍ بالنصِّ المتواترِ: «ومن مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة»[١]، و«لولاه لساخت الأرض بأهلها»[٢]. وللإمام مهمّتان:

١ ـ أن يرسي الأرض عن أن تميد بأهلها، وإنّه يأخذ بأطراف البلاد في أنظمتها العاملة، وقواها المرتبطة بنظام المجتمع؛ بنفسه تارة وبتقييض غيره طوراً، وبإمالةِ الأفئدةِ إلى الصلاحِ بالتصرُّف فيها آونةً، وله وراء ذلك نظرةٌ رحيمةٌ تسدّد ذلكَ كُلَّه.

٢ ـ إنّه ينشر الأحكامَ، ويبثُّ الفضائلَ، ويهذّب الأخلاقَ، ويُكَهْرِبُ النُّفوسَ، ويوطِّد أُسس الاجتماع، ويشيّدُ دعائمَهُ، ويسدُّ إعوازَ الحضارةِ في هذه الدُّنيا، ويقرِّب العَبْدَ إلى الله زُلفى في الأُخرى.

ونطاقُ هذه الأُطروحةِ يضيق عن تفصيل هذه الجُمَل، فنُرجِئُها إلى فرصةٍ أُخرى إن شاء الله تعالى.

هذا كلّه للإمام الحاضر.

وأمّا الغائب، فهو يتولّى المهمّة الأُولى بنفسه، وتستفيد الأُمّة به استفادتها بالشمس إذا حجبتها الغُيُومُ، يُقيمُ أَوَدَهُم وهُم لا يشعرون، ويُثقِّفهُمْ من حيثُ

---

(١) كمال الدين: ٤٠٩/ح٩، كفاية الأثر: ٢٩٥، الغيبة للنعماني: ١٣٠/ح٦، الإفصاح للمفيد: ٢٨ وصرّح بتواتره، الثاقب في المناقب: ٤٩٥/ح٤٢٤، الكافي ١: ٣٧٦/ باب «من مات وليس له إمام من أئمّة الهدى».

(٢) بصائر الدرجات: ٥٠٨/الباب ١٢ «إنّ الأرض لا تبقى بغير إمام ولو بقيت لساخت» وفيه ٨ أحاديث، الإمامة والتبصرة: ٣٠/ح١٢، الكافي ١: ١٧٨ ـ ١٧٩/ باب «إنّ الأرض لا تخلو من حجّة»، وفيه ١٣ حديثاً.

لا يحتسبونَ. ويُزيحُ عنهم الزَّيغَ العامَّ، ويَزوي الشُّبَهَ والأوهامَ، ولهُ سلام الله عليه للمُهمَّةِ الأُخرى رجالٌ وأبطالٌ نَهَضُوا بِعِبْءِ الدِّعايةِ الدِّينيَّة، ونشروا أحكامَهُ، ورفعوا أعلامَهُ بعد غَيبتِهِ عليه السلام.

فمنهم من نُصَّ عليه بالنِّيابة الخاصّة: وهم محصورونَ في أربعة[١].

ومنهم من شَمِلَهُ حكمٌ عامٌّ، أوضحَ عليه السلام فيه صفاتِ المتَّكِئينَ على تِلكُمُ الأرائكِ، وإليكَ صَكَّ تلك الحكومةِ وسِجِلَّ قضائها.

روى المشايخ الثلاثة[٢] بأسانيدهم عن عمر بن حنظلة، قال: «سألت

---

(١) ذكروا تحت عنوان: «أبحاث إسلاميّة» باسم «العناية بالبشر» في الجزء الأوّل من هذه الموسوعة.

(٢) ١ ـ الشيخ الكليني: هو محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي، ينتسب إلى بيت طيّب الأصل في «كُلَيْن»، أخرجَ عدّةً من أفاضل رجالات الفقه والحديث، له عدّة مؤلّفات، أشهرها على الإطلاق كتابه العظيم «الكافي»، توفّي في بغداد سنة ٣٢٩ ودفن بها. راجع مقدِّمة «الكافي» تجد ترجمة وافية لهذا العظيم، وهكذا بقيَّة كتب الرجال، فهو شيخ الشيعة في وقته.

٢ ـ الصدوق: هو محمّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّيّ، نسبةً إلى قُمَّ، يكنّى بـ«أبي جعفر»، ويلقّب بـ«الصدوق»، وبـ«شيخ المحدّثين»، واشتهر بالأوّل، وبابن بابويه. ولد بعد سنة ٣٠٦. له عدّة مؤلّفات أهمّها «من لا يحضره الفقيه»، تُوفّي سنة ٣٨١ في مدينة الريّ، ودفن بها، وله فيها مزار مشهور. انظر مقدّمة أمالي الصدوق، وغيرها من مصادر ترجمته.

٣ ـ الطوسي: شيخ الطائفة أبو جعفر محمّد بن الحسين بن عليّ بن الحسن الطوسي، ولد في شهر رمضان سنة ٣٨٥، وتوفّي في النجف الأشرف سنة ٤٦٠، ودفن في داره الذي

أبا عبدالله عليه السلام.. وذكر الحديث في المتخاصِمَيْنِ إلى قوله عليه السلام: «ينظرانِ إلى مَن كانَ منكم قد روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا فليرضوا به حَكَماً فإنّي قد جعلته عليكم حاكِماً، فإذا حكَمَ بحُكْمِنا فلم يُقْبَلْ منه فإنّما بحُكم الله استُخِفَّ، وعلينا رُدَّ، والرادُّ علينا الرادُّ على الله، وهو على حدِّ الشِّركِ باللّه»[1].

وفي التوقيع الشريف لإمام العصر عجّل الله تعالى فرجه المرويّ في إكمال الدين، وغيبة الشيخ الطوسي ما نصّه: «وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا فإنّهم حجّتي عليكم، وأنا حجَّةُ الله عليهم»[2].

وهم المعنيُّونَ فيما رواه الإمام الصادق عليه السلام، عن جدّه النبيّ الأمين ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ قال: «الفقهاء أُمناء الرُّسل ما لم يَدخُلُوا في الدنيا» الحديث رواه الكافي[3].

إلى كثير من أمثالها، وهي نصوص في مناصب العلماء.

هؤلاء الّذين لهم في الدّين الحكمُ الفاصل، والقضاءُ الحاسمُ، قيَّضهم المولى

➲ صار بعد ذلك مسجداً باسمه الشريف. له مؤلّفات جمّة، أهمّها في الحديث كتاب «التهذيب» وكتاب «الاستبصار». راجع مقدِّمات رجاله وتفسيره «التبيان» تجد الكثير من أحواله.

(١) الكافي ١: ٦٧/ح١٠، ٧: ٤١٢/ح٥، من لا يحضره الفقيه ٣: ٨/ح٣٢٣٣، التهذيب ٦: ٢١٨/ح٥١٤، و٣٠٢/ح٨٤٥.

(٢) كمال الدين: ٤٨٤/ح٤، الغيبة للطوسي: ٢٩٠/ح٢٤٧.

(٣) الكافي ١: ٤٦/ح٥.

سبحانه أُمناءَ دينِه، وكُفاةً للدعوة إليه، وهم النَّاهِضونَ بأمر الهداية، والمؤدُّون حقَّ ما ٱئتُمِنوا عليه. تبلَّجُ منهم البلادُ بعُدُولٍ ينفون عن الدين تحريفَ الغالينَ، وانتحالَ المُبطلين[1].

بيد أنّ أقصى ما يتسنّى لكلٍّ من علماءِ البلادِ أن يُصلح بِيئَتَهُ، ويهذِّب مَن حولَهُ، وقد تختلفُ خُطَطُ الإصلاحِ فيما بينهم فيُعقِبُ معرَّةً نوعيَّةً، فلا يُكافِئُها الإصلاح الجزئيّ.

فالأُمَّةُ إذن في حاجةٍ أكيدة إلى مُصلحٍ يسير نفوذه معها أينما سارت، ويكونُ المَثَلَ الأعلى في العلمِ والحزمِ والتُّقى، يقفُ لها عند مَثارِ زوابعِ الفِتَنِ، ومُضْطَرَمِ زعازعِ الأهواء، فيكتَسِحُ الأشواكَ المتكدِّسةَ أمامَ سيرها إلى الأمام.

ولذلك جَرَى من العنايةِ التامّة بالأُمَّة المرحومةِ أنّه كلّما كاد العهدُ أن يتقادمَ ويَبْعُدَ الأمدُ قَيَّضَ لها مَن يُجدِّدُ فَخْرَها التَّالِدَ، ويرقُبُ دينَها الحنيفَ ـ وسماسرةُ الأهواءِ مولَعةٌ في تَرْكاضِها ـ ولعلَّ إلى هؤلاء يوعزُ النبويُّ السابقُ ذكره من حديث مجدِّدي القرون.

فالمجدِّدُ هو رجلٌ أسعدته المقاديرُ بإصلاحٍ عامٍّ في رأس كلِّ قرنٍ، يَبْعَثُ في المجتمعِ الدينيِّ تطوُّراً يُسعِدُهُ، وإلى حياتِهِ رُوحاً تُنْعِشُ منه الرُّفات، وإلى موقفِهِ السِّياسي قوّةً تكلأُ استقلاله، وإلى أَخلاقه تهذيباً يدرأُ عنها كُلَّ خُرافةٍ،

---

(١) إشارة إلى قول الإمام الصادق عليه السلام في حديث له: «فإنّ فينا أهل البيت في كلّ خَلَفٍ عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين». انظره في الكافي ١: ٣٢/ح٢، وكمال الدين: ٢٢١/ح٧، ومعاني الأخبار: ٣٥/ح٤.

وإلى نواميسِ الدِّين تمحيصاً ينفضُ عنها ما أَلصقته بها الدَّجَّالون. فهذا أكبرُ مُصلحٍ يجبُ في شرعِ الكَمالِ أن يخضعَ لهُ المُصلِحُونَ.

لقد عُنيَ الباحثون بتعيين أفذاذٍ من علماء الأُمّة في رأس كُلِّ قرن حَقَّتْ لهُمُ العبقريَّةُ والنبوغُ، وسبقتْ منهم مساعٍ مُتواصلةٌ وراءَ إصلاح الملَّةِ، ووقوفٌ لمَناجِحها لا تسعُ ذكرياتِهم هذه الترجمةُ، إلَّا أنّ من شَهدت له الأُمّة جمعاء، وشهدت له الجامعةُ الدِّينيَّة والعلميّةُ، والأعمالُ الصَّالحةُ، وشهد له التاريخ والمنقِّبُونَ فيه والباحثونُ قاطبةَ، هو أنَّ مجدِّدَ هذا القرنِ الأخيرِ هو سيِّدنا المترجَمُ لهُ، فقد جدَّدَ للشيعة رئاسةً كُبرى فيها حياة العلم والدين.

جدَّدَ للفقه وأُصولِهِ وعلوم الدِّين دَوراً مهمّاً شَهِدَتْ له أعلامُهُ والصُّوَى، جَدَّد للأخلاق طريقاً جَدَداً استطرَقَهُ السَّالِكُونَ، جدَّدَ للمجدِ الهاشميِّ ذِكْراً قديماً عَنَتْ له الوجوهُ، جدَّدَ للكرمِ النبويِّ الهاطلِ عُباباً طَمَى[1] فجرَفَ، جدّد للدِّين عِزّاً خالفاً ومَنَعَةً وبَذَخاً، جدَّدَ للمجتمع العلميِّ سُلطةً وصَوْلَةً طحنتْ أَضدادَهُ، جدَّدَ للمسلمينَ اسْتِقْلالاً أَرغَمُوا به أَنفَ مناوئيهم، جدَّدَ وجدَّدَ وجدَّدَ، ولهذا لم نبرح نعبّر في هذه الترجمة «سيِّدنا المجدِّد».

ولو كانتِ الأُمَّةُ وزعماؤُها يسلُكونَ من بعدِهِ تِلْكُمُ المناهجَ اللَّاحِبَةَ[2]، لَمَا تدهورتْ بهم الحالةُ البائسةُ، ولَما تَقَهْقَرُوا إلى ما نُشاهده اليوم من الوجهة

---

(١) العباب: البحر، أو موجه. وطَمَى: فاضَ.

(٢) الطريق اللّاحب: الواضحُ المُوَطَّأُ المسلوك.

الدينيّةِ والمدنيّةِ والأدبيَّةِ والعلميَّةِ والاقتصاديَّة، «ليتَ وهَلْ ينفعُ يَوْماً لَيْتُ»[١].

هذه نُبذةٌ يسيرةٌ من حياة سيِّدنا المجدِّد قدّس سرّه، وطفيفٌ من فضائله الجمَّة من وُجهةِ العلم والعمل، والرأي والعظمةِ، والسَّجايا الطيِّبة، والكرمِ المتواصلِ.

وأمّا نفسيّاتُه الكريمةُ المربوطةُ بالصِّلة بينه وبين بارئِهِ، والأواصرُ المنوطَةُ منه بسَلَفِهِ الطاهر أئمّة الهدى ـ سلام الله عليهم ـ وما كان يصدرُ منه من الخوارق لنواميس الطبيعة ـ بنقلِ الثِّقاتِ من العلماءِ المشاهدينَ لها من جِهَةِ معارفِهِ الإلهيّة وقُواهُ النفسيّة وقداسةِ ذاته ـ فلم نعطفِ القلمَ على إفاضةِ القولِ فيها في خُصوصِ المقام، وإنّما أخَّرْناها إلى ما يُناسِبُها من مظانِّها إن شاء الله تعالى.

وللعلّامة الحجّة الشيخ آقا بزرك تأليف مستقلٌّ في حياة سيِّدنا المجدِّد، أسماه «هدية الرازي إلى المجدِّد الشيرازي»[٢] أثبت فيه شيئاً من ذلك.

---

(١) هو بيت رجز لرؤبة بن العجاج، وتمام إنشاده مع الّذي بعده:

ليتَ وهل ينفعُ شيئاً لَيْتُ

ليتَ شباباً بُوعَ فاشتريتُ

وهو شاهد لقوله «بُوع» مع أنّ المشهور «بِيعَ»، وهي لغة إخلاصُ الضَّمِّ. انظر شرح ابن عقيل ١: ٥٠٣، وديوان رؤبة ١: ٥٥.

(٢) وقد طبع عدّة مرّات.

[وفاةُ سيِّدِنا المترجَم له]

هكذا جرت الحالة بذلك العهد السعيد، حتَّى اقتضتِ المقاديرُ أن يُلَفَّ منهُ لواءٌ خافقٌ، ويُغمَدَ سيفٌ شاهرٌ، ويُدَكْدَكَ شرفٌ طائِلٌ، وينضَبَ بحرٌ زاخرٌ، فنُكِّسَتْ أعلامُ الدِّينِ، وعُطِّلَتْ مدارسُ العلمِ، وأكْدَتِ الآمالُ، وأخْفَقَتِ الظُّنُونُ، وتوفَّاهُ اللهُ تعالى في السَّاعةِ الأُولى من ليلةِ الأربعاءِ ٢٤ شهر شعبان سنة ١٣١٢ عن اثنين وثمانين عاماً من عمره الشريف.

وحُمِلَ سريرُهُ على الرُّؤوس والأكتافِ من سامرّاءَ إلى النجفِ الأشرفِ، وتقاسمت القبائلُ تلكم الطُّرُقَ الشّاسعةَ فكُلُّ قبيلةٍ كانت تحملُ السريرَ في حُدودِها حتّى تُسلِّمهُ إلى القبيلة الأُخرى في صرخةٍ وعويلٍ، ورنَّةٍ ونشيجٍ، وأيْدٍ لادِمةٍ على الصُّدورِ تارةً، وعلى الرُّؤوس أُخرى.

هكذا كانت تَلُفُّ الحَزْنَ[1] بالسَّهْلِ، والسَّبْسَبَ بالنَّفْنف[2]، حتَّى استقبلَهُ في بغدادَ سَرَواتُ القبائلِ، وجَمَراتُ العَشائرِ، وجماهيرُ العربِ، وسُفَراءُ الدُّوَلِ،

---

(١) الحَزْن: الأرض الصلبة؛ عكس السَّهْل.

(٢) السَّبسَبُ: المفازة والصحراء، ومثلها النفنف.

وجَحاجِحَةُ التُّركِ، ومَرازِبَةُ العَجَم، وشَرَطَةُ الخميسِ، وأُمراءُ الأجنادِ، ومُلتَفُّ العساكرِ:

[من الكامل]

رُعْشَ الأَكُفِّ طَوائِشاً أَحْلامُهُمْ مِيلاً رِقابُ الغُلْبِ ساقِطَةَ اليَدِ

فَالمَشْيُ هَمْسٌ وَالنِّداءُ إِشارَةٌ وَالطَّرْفُ بَيْنَ مُصَوَّبٍ وَمُصَعَّدِ[1]

وأباتُوه ليلةً في حرم الجوادَيْنِ عليهما السلام لائذاً بهما، ثمّ حملته الأيدي والأكتافُ إلى جهة كربلاءَ المشرَّفةِ في حَشْدٍ قد سدَّ الفضاءَ، وملأَ أَجوازَ[2] الفَلا، والقبائِلُ تلتفُّ بهم في غضون الطريق بين وَجْدٍ لازمٍ، ودمعٍ ساجمٍ، ودَهَشٍ شاملٍ، حتّى وردَ الحائرَ المقدَّسَ، وأباتُوه أيضاً ليلةً في حرمِ جدِّه الحسين عليه السلام متعوِّذاً به.

ومن غدٍ التفَّتْ به الجموعُ المتلاطمةُ ومعهم الكربلائيّونَ قَضَّهُم بِقَضِيضِهم[3] يَؤُمُّونَ النَّجفَ الأشرفَ، والعَشائِرُ تستقبلهم وتَتراوَحُ على حمل تابوتِ السكينةِ وفيه بقيّة من آلِ محمَّدٍ صلّى الله عليه وآله وسلّم، حتَّى وافى الحَشْدَ اللُّهامَ[4] مستقبِلُوا النَّجفَ الأشرف إلى فراسخَ عنها، يَقْدَمُهُم شيخُ الطائفة الشيخ محمّد طه نجف، فوردَ البلدَ الأمينَ تَحُفُّ به بُهَمُ الرِّجالِ، والعلماءُ الأبدال، وسَرَواتُ

---

(١) ذُكِرَ البيتان في باب القوافي المختلفة من سبائك التبر كما سيأتي في هذا الجزء.

(٢) أجواز: جمع جَوْز، وهو وسط الفلاة.

(٣) أي جميعهم، والقَضُّ: صغارُ الحصى والمتفتّت منها. والقضيض مثله وهو ما تكسّر من الحصى ودَقَّ.

(٤) اللُّهام: العظيم كأنّه يلتهم كُلَّ شيءٍ.

المجدِ، وزعماءُ البلادِ، والمواكبُ اللَّادِمَةُ، وجماهيرُ النَّاسِ، وكَبِدُ البَرِّ مُكْتَظٌّ بالأناسِي، بينَ قلبٍ خاشعٍ، وطَرْفٍ دامعٍ، وضَجَّةٍ وصرخَةٍ على الخَطَرِ النازلِ، والخطب المُتفاقِمِ، تَخفِقُ فيهم الأعلامُ السُّودُ:

[من الكامل]

وكأَنَّما التَّابُوتُ فيهِ سَكِينةٌ ... أَمْسَتْ لَهُ زُمَرُ المَلائِكِ تَحْمِلُ

وَبقِيَّةٌ مِن آلِ أَحْمَدَ خُلِّفَتْ ... فِينا فَبانَ بِها الطَّرِيقُ الأَمْثَلُ[1]

وكان ورودُهُ النجفَ الأعلى في أوّل يومٍ من شهر رمضانَ المبارك، فأُودعَ في الحرمِ الأقدسِ إلى الساعة السادسة من اللَّيل، ثمّ واروه في بُقعته المشهورة:

[من الكامل]

جاءُوا بهِ وَطَوَوْهُ في مَلْحُودَةٍ ... دانَتْ لَها هامُ السُّهَى والفَرْقَدُ

في مَعْهَدٍ وَدَّ الأَثِيرُ لَوَ انَّهُ ... أَمْسَى ثَرَى الجَنَّاتِ ذاكَ المَعْهَدُ[2]

وودَّعهُ العلماءُ والفقهاءُ هنالك، ولسانُ حالهم ينشد:

[من الكامل]

سَلَكَتْ بِكَ الأُمَمُ السَّبِيلَ إلى الهُدَى ... حَتَّى إذا ذَهَبَ الرَّدَى بِكَ حارُوا

نَفَضَتْ بِكَ الآمالُ أَحْلاسَ المُنَى ... وَاسْتَرْجَعَتْ زُوّارَكَ الأَمْصارُ

فَاذْهَبْ كَما ذَهَبَتْ غَوادِي مُزْنَةٍ ... أَثْنَى عَلَيها السَّهلُ والأَوْعارُ[3]

(١ و٢) هذه الشواهد الشعريّة موجودة في سبائك التبر في باب القوافي المختلفة.

(٣) الشعر موجود في سبائك التبر في باب القوافي المختلفة، وهذه الأبيات الثلاثة من

ثمّ أُقيمت المآتمُ من قِبَلِ العلماء الأعلام، وبدأهم شيخُ الطائفة الشيخ محمّد طه نجف، والزَّعيمُ الكبير الحاج الميرزا حسين الخليليُّ، والفقيهُ المقدَّم الفاضل الشَّربياني، والمحقِّق المولى محمّد كاظم الخراساني، واتّصلت الفواتحُ إلى أُخريات شهر رمضانَ من سنةِ وفاتِهِ.

وكذلك توالت المآتم في كربلاءَ والكاظميّة وسامرَّاءَ وبغدادَ والحلَّةِ، ومدنِ العراقِ بأجمعِها، وبلادِ إيران كُلِّها، والعاصمةِ الفارسيّةِ، وأقطارِ الهند جمعاءَ، ومدنِ قوقاسَ قاطِبَةً، وبلادِ الشيعة في أقطار العالم كلِّهِ، وذكر سيِّدُنا أبو محمّد الحسن صدر الدين الكاظمي: «أنَّه دامت الفواتحُ في البلاد الفارسيّةِ سنةً»، وأنفقوا فيها النفقات الجزيلة.

وكان الملك السعيد ناصرالدين شاه القاجاري أوّل من أقام الفاتحة في «مسجد شاه» في عاصمة ملكه طهران، وحَضرَها هو مستشعِراً شعارَ الحزن والاستياءِ، ثمّ تَبِعَهُ العلماءُ، وأركانُ الدولةِ، ورجالُ المملكة، والأشرافُ، والتُّجّار، وطبقاتُ النَّاسِ.

ولهذا الحديث تفاصيل لو ذهبنا إلى سردها لخرجنا عن خِطَّة الاختصار، وأحسنُ مَن وَصَفَ الحالة ممّن دوّنها العلّامة الحجّة السيّد محمّد بن الرضا

قصيدة لصريع الغواني بتفاوت كما في ديوانه: ٣١٣ـ٣١٤، وروايتها:

نفضت بك الآمالُ أحلاس الغنى ... واسترجعت نُزّاعَها الأمصارُ

سلكت بك العرب السبيل إلى العُلى ... حتّى إذا سبق الردى بك حاروا

فاذهب كما ذهبت غوادي مزنة ... أثنى عليها السهلُ والأوعارُ

فضل الله العاملي في رسالة مستقلّة في ذلك، فقد نَعَتَ فيها شَطْراً مُهِمّاً من الحالات النوعيّة والفرديّة بأبلغِ عبارةٍ، وأَوفى وصفٍ[١].

ورثاهُ من شعراء النجف: السيّد جعفر الحلّي بقصيدة نونيّة، والشيخ حبيب شعبان أيضاً بنونيّة، والشيخ جواد شبيب بداليّة، والشيخ علي شراره ببائيّة، والشيخ باقر الشيخ حيدر بيائيّة، والشيخ محمّد صالح محيي الدين ببائيّة وداليّة ولاميّة، والشيخ حسين البلاغي ببائيّة وداليّة، والشيخ كاظم سبتي برائيّة، والشيخ عبدالحسين الحويزي برائيّة وفائيّة، والشيخ محمّد السماوي بسينيّة وميميّة ونونيّة، والشيخ موسى الإيرواني[٢] بقصيدة، والسيّد رضا الهندي بداليّة وميميّة، والسيّد إبراهيم الطباطبائي آل بحر العلوم برائيّة.

ومن كربلاء: السيّد جواد الهندي بميميّة.

ومن الكاظميّة: الشيخ عبدالمحسن الكاظمي نزيل مصر بميميّة.

ومن بغداد: العلّامة الحجّة الحاج الشيخ محمّد حسن كبّة بميميّة، والشيخ محمّد سعيد ابن الشيخ صالح التميمي بفائيّة وأبياتٍ نونيّة، والأُستاذ علي البنّاء بنونيّة.

وفي سامرّاء: العلّامة السيّد باقر الهندي برائيّة، والعلّامة الميرزا محمّد ابن العلّامة الميرزا عبدالله الزنجاني برائيّة ولاميّة.

ومن شعراء الحلّة: الشيخ علي بن القاسم بنونيّة، والشيخ حسن مصبح ببائيّة

---

(١) يأتي في سبائك التبر في القوافي المختلفة.

(٢) لا يوجد هذا الاسم في الديوان وكذلك لا يوجد له اسم في كتب التراجم.

ورائيّة، والشيخ محمّد التبريزي ببائيّة ولاميّة، والحاج مجيد البغدادي بحائيّة، والشيخ محمّد عبدالله العذراي بداليّة، والشيخ حمّادي نوح بداليّة، والشيخ محمّد حمزة بلاميّة وميميّة ويائيّة، والحاج مهدي الفلّوجي بلاميّة وميميّة.

والشيخ قاسم الملّا بأبيات تائيّة، وأُخرى عينيّة، وأُخرى زائيّة، وقصيدة فائيّة.

ومن علماء سورية وشعرائها: العلّامة السيّد محمّد الرضا فضل الله برائيّة، ورسالةٍ تأبينيّه تتضمّن قوافي مختلفة من الشعر الرائق، وجُملاً بديعة من النّثر البليغ أوعزنا إليها آنفاً. والعلّامة السيّد نجيب الدين فضل الله بجيميّة، والعلّامة الشيخ عبدالحسين صادق ببائيّة وسينيّة، والعلّامة السيّد محسن الأمين بجيميّة، والعلّامة الشيخ عبدالكريم الزَّيْن برائيّة، والشيخ محمّد سليمان من آل الجواد برائيّة.

ومن شعراء الهند وعلمائها: العلّامة السيّد نجم الحسن الرضوي اللَّكَهْنَوي بلاميّة، والعلّامة السيّد ناصر حسين اللَّكهنوي بقافيّة ولاميّة، والسيّد سبط حسن اللَّكهنويّ بهمزيّة ودليّة، والميرزا محمّد عبّاس اللَّكهنوي بميميّة ونونيّة، والسيّد ظهور حسين بهائيّة، والسيّد محمّد مهدي اللّكهنوي بجيميّة، والميرزا محمّد حسين الأديب اللّكهنوي بداليّة وميميّة.

ولبعض أُدباء الهند قصيدةٌ همزيّة لم أقف على اسمه، كما أنّ للشيخ جواد ـ لم أظفر بنسبته ـ قصيدة بائيّة. وهناك ميميّتان، وبائيّات ثلاث، وجيميّة، وحائيّة، ورائيّة، ولاميّة، ودليّة، لم أعرف قائلها.

فهذه اثنتان وسبعون قصيدة في رثاء الفقيد المعظَّم، غيرَ الأبياتِ والمقاطيعِ والتواريخِ المقولةِ فيه، وقفنا عليها وأدرجناها فيما ألَّفناهُ من الديوان المختصّ بما قيل في سيِّدنا المجدِّد وآله وذويه من الشعر مذيَّلاً بتراجمِ الشُّعراء. وأنا على علمٍ بأنّ ما ذهب علينا من قصائدِ التأبين العربيّة كميّة وافرة، ولعلّها تربو على ما أوعزنا إليه هاهنا وأثبتناه في الديوان.

وأمّا الشعر الفارسيّ فلم نتعرّض له بذكرٍ أو إشارةٍ، وكذلك ما قيل فيه من كلماتٍ أو كتبٍ.

هذا ما دعتني مقتضيات الاستعجال إلى بيانه من حياة سيّدنا المجدِّد الميمونة.

* * *

[ترجمة خلفه الصالح الميرزا علي آقا]

وأمّا خلفُهُ الصالح ـ فقيه العترة الطاهرة، سيّد الأُمّة ورَئِيُّها[1]، الزعيم الأكبر، آية الله ـ السيّد الميرزا علي آقا، فقد ولد سنة ١٢٨٧ في النجف الأشرف، وكان عند هجرة والده إلى سامرّاء وهو معه سنة ١٢٩١ خُماسيّاً، وبها شَبَّ ونَما وترعرعَ، حتّى احتضنَتْهُ حُجُورٌ علميَّةٌ من تلمذة أبيه، تلكَ الحُجورُ المدرسيّةُ التي عاد خِرِّيجوها حسناتِ الدَّهر والأَوْضاحَ والغُرَرَ على جبهات الأَيَّامِ، حتّى قال فيه أحدُهُم ـ والأوحديُّ فيهم، السيّد محمّد الإصفهاني ـ: «إنّه تربّى في حِجْرِ خَمسينَ مُجتهداً»، وهذا القائل المعظَّم أحدُ أساتذته الأعاظم.

ومنهم الزَّعيم الأكبر آيةُ الله الإمامُ الميرزا محمّد تقي الشيرازي، ناشرُ ألوية العلم والتّحقيق وغيرهما.

حتّى حصلت له الأهليّة للحضور عند والده المجدِّد، فطفق يتخرّج عليه في درسٍ خاصٍّ به، ولم تزل الحقائق تُفاضُ عليه، وبابُ التَّلقِّي منه مفتوح لها بمصراعيه، حتّى نصَّ ـ قدّس سرّه ـ باجتهاده وهو حديثُ العهد بتمام العقد الثاني من عَشَراتِهِ، كما نصّ به غيره من محقّقي العلماء؛ كالشيخ المحقّق

---

(١) رَئِيُّ القومِ: الّذي يرجعون إلى رأيه.

الخراساني ـ صاحب «الكفاية» ـ وشيخاه السابق ذكرهما. فلم يفتأ متربّعاً على منصَّة العلم، مُتعيِّناً في دَسْتِ الفضيلةِ والتّحقيق بسامرّاء بعد والده المقدَّس، مُفيداً ومدرّساً، يطوي على ذلك آناءَ اللَّيل، وأطرافَ النهار.

وفي سنة ١٣١٧ زار الإمام الرضا عليه السلام بخراسان، فلقي في البلاد من الحفاوةِ والتَّبجيل ما لم يعهده مثله، حتّى إ نّه لمّا قرب من العاصمةِ الفارسيّة طهران لم يدخلها وإنّما حطّ رحله بحضرة عبدالعظيم الحسني سلام الله عليه، فانثالتْ عليه أهلُ العاصمة بأجمعهم من علماء وأشرافٍ وزعماء، ورجال الدولة والوزراء، والتُّجّار وأهل الحرف والمِهَن، حتّى إنَّ الملك السعيد مظفّر الدين شاه القاجاري زاره بنفسه هنالك، فلم يجدوا منه إلَّا شناشنَ أبيه الطاهر، وملامحَ منه مُزدانَةً بنفسٍ مزيجُها الإباءُ والرِّفعةُ، ومزدَهِرَةً بمكارمِ الأخلاقِ في شدّةٍ ليست بعَرامَةٍ[1]، ولينٍ من غَير خَوَرٍ، وخُشونةٍ في ذات الله، لا يخافُ فيه لومةَ لائمٍ، وعقليَّةٍ ناضجةٍ، وسِدادِ ثَغْرٍ[2]، وجَأْشٍ ثابتٍ، وأدبٍ وافِرٍ، وعلمٍ تَنْضُبُ دونَهُ البحور، وحِلْمٍ تندكُّ لديه الرَّواسي، وإيثارٍ يعنُو له الزَّاهدونَ، وزُهدٍ يخضعُ له السَّالكونَ، وشممٍ يترفَّع مَعَهُ عن كلِّ دنيَّةٍ.

لم يبرح هكذا حتّى هبط العتبة الرضويّة سلام الله على مشرِّفها، وزارها وتبرّك بها، ثمّ آبَ إلى موطنِهِ، ولم يشاهد في مسيره ومنقَلَبه في البلاد والقُرى إلَّا غايةَ ما يمكنهم من الاحتفاءِ، ولم يشاهدوا منه إلَّا لِدَةَ ما وصفناه من العظمةِ.

---

(١) العَرَامةُ: الشِّدَّة والخروجُ عن حدِّ الاعتدال.

(٢) نظر إلى قول العرجي كما في ديوانه: ٢٤٦:

أضاعوني وأيَّ فتىً أضاعوا ... لدفـع مُـلِمَّةٍ وسِـدادِ ثَـغْرِ

وبطبعِ الحال كانت الهدايا إليه تترى، لكنّه لم يقبل شيئاً منها، وَأَبَتْ له نفسه الكريمةُ أن يُؤثِرَ الشهواتِ على كَلاءةِ مقاماتِ العلماءِ، ودَحْضِ ما قد يلهجُ به الرَّعْرَعَةُ الدَّهماء من اتّهامهم بالميل إلى الحُطامِ، وتَطَلُّبِ ثراءِ النّاس، فراقَ سيِّدَنا المترجَم لهُ التَّحلّي بفضيلةالزهد المُعْرِقة فيه منذ صاغه الله سبحانه مِثالاً للكمالات الصُّوريّة والمعنويّة، لِتعلَمَ الرَّجْرَجَةُ أَنَّ العلماءَ أزهدُ الناسِ في مَتاع الدُّنيا، وأنّ ما يأخذونه من الحقوق الإلهيّة إنّما هي ضرائبُ مجعولةٌ على الناس من الشارع الأقدس لسدِّ إعوازِ الفقراء، وإدارةِ شُؤونِ الطَّلبةِ وتربيتهم، ليتخرَّجوا علماءَ فيبثُّوا فيهم الدَّعوةَ، ويُشيِّدوا معالمَ الدِّين، ويرفعوا أعلامَهُ، ويوضِّحوا قوانينَه، ويبيِّنُوا نواميسَهُ الّتي هي أصلُ الحضارةِ الصحيحةِ، وبها يُشادُ صرحُ المدنيَّةِ، وتُوطَّدُ أُسُسُ المُلكِ، وتقُومُ عَلالِيَّهُ[1] لو كانت ثَمَّةَ آذانٌ واعيةٌ، وأسماعٌ مُصيخةٌ إلى هُتافِ الحقِّ من غيرِ وَقْرٍ عَراها فَأَصَمَّها.

نعم، هنالكَ قلوبٌ طبع الله عليها لا تصقُلُها عِظَةٌ، ولا تُلِينُها الزَّواجرُ، ولا تَلفِتُ نظرةً إلى تاريخ العلماءِ المجيدِ وصحائِفِهم البيضاءِ وصِلاتِهم بالدِّينِ والدُّنيا، وقِوامِ الدَّعوةِ، واستقلالِ الأُمّة، ودِفاعِهم عن الخِطَّتين، حتّى إنّه ذهبت حياةٌ غيرِ يسيرٍ منهم ضحيَّةَ هاتيك الدَّعوةِ مِن جرَّاءِ الإحنِ الثّائرةِ من أضدادها. وأَمّا المُضَحِّي لها جاهَهُ العَريضَ، والمُهْلِكُ دونها سَبَدَهُ ولَبَدَهُ[2] فكثيرون،

---

(١) العَلالِيُّ: جمع العِلِّيَّةِ، وهو بيت عالٍ منفصل عن الأرض ببيتٍ ونحوه. ويقال لمن هو من أهل الشرف والرفعة: هو من عِلِّيّة القوم.

(٢) السَّبَد: القليل من الشعر. واللَّبَد: الصوف المتلبِّد. يقال لمن لا شيء عنده: ما له سَبَدٌ ولا لَبَدٌ.

فليعطفْ هؤلاء على سِيَرِهِمْ نظرةً عميقةً حتّى تنكشفَ لهم جليَّةُ الحالِ، ويجدَ من زهادةِ القومِ ورغبتِهِم عن الحُطامِ بعدَ تلكَ الأَهميَّةِ الكُبرى لموقِفِهِم ما يَسُرُّ النَّاظِرِينَ والسامعِينَ، فليعطِفُوا إليها أنظارَهم إن كانوا هم يَقْصُرُونَ عن تحليل القضايا ومُقايسة الأَعمالِ.

شطَّ بنا القولُ عن القصدِ، فاعتذاراً إلى القارئ الكريم.

نعم، أرادَ سيِّدنا المترجَم لهُ كشفَ هذه الحقائق التي أوعزنا إليها، فردَّ كُلَّ ما أُسديَ إليه من معروفٍ، حتّى إنَّ الصدرَ الأعظمَ «رئيس الوزراء» الميرزا عَـلِيْ أصغر خان المقتول أخيراً، أراد أن يصِلَهُ بمائة ألف تومانٍ فلم يتنازل إلى قَبُولها.

هذا وحاجتُهُ إلى المال يومئذٍ كانت مَسِيسةً، للدُّيونِ الباهِظة المتراكمةِ عليه، ومن كان يعول بهم مع ذلك من عشيرته الأقربين البالغينَ مائةَ نسمةٍ أو حولَ ذلك. ولم يكُ هذا باكورةً من مظاهرِ زهده في المالِ، فقد كان في بيتِ مـال والده المجدِّد لمَّا قضى نحبَهُ خمسون ألف تومان، وما كان يعلمُ بها غيرُهُ، ولا استحوذَ عليها سواهُ، فأدرَّها بأجمعها على تلمذةِ أبيه وأصحابِهِ ـ في رواتبهم الشهريّة، ولأداءِ ديونهم ـ إلى ستّة أشهر، فلم يُبْقِ لنفسه منها فلساً واحداً، على حين أنّ الدَّين كان يَبْهَظُهُ على عهدِ أبيه وحينذاك، غيرَ أنَّ شَرَهَ النفسِ لم يَقُدْهُ إلى التَّلَمُّظ بذلك المال أو ببعضه، إيثاراً للمحاويجِ على نفسه، وتوكُّلاً على ربِّه في إدارة شؤونه ومَن يعول بهم، ولو كانَ له دافعٌ غيرُ وجهِ الله لاستساغَ المالَ كُلَّهُ، أو شطراً منه، وليسَ عليه رقيبٌ أو مُحاسِبٌ.

[بعض المواقف المشرِّفة للميرزا علي آقا]

وكانَ على «علاء الدولة» ـ أَحَدِ رجالاتِ العهد الناصري المنوَّهِ باسمه سابقاً ـ ثلاثون ألف تومانٍ دَيناً ثابتاً للإمام المجدِّد، دَفَعها عنه في الوجوه المعلومة بينهما باقتضاءٍ من علاء الدولة، فتُوفِّي سيِّدُنا المجدِّدُ، وتُوفِّي علاءُ الدولة قبلَ أداءِ الدَّين، ولم يتصدَّ أولادُهُ لدفعِهِ متساهلينَ في الأمر، واستنكَفَ سيِّدنا المترجَمُ لهُ من المضايقة عليهم، حتّى إذا وقعت النكبةُ على رجالِ العهدِ البائدِ بإيران أُوعِزَ إليه بسهولةِ استيفاءِ المالِ منهم، وتصدّى له بعضُ ذوي الكفاية بطهران وطلب منه الموافقةِ والتأييد. وبما أنّ إنهاءَ القضيّةِ كان يستدعي مراجعةَ أُناسٍ لا يُقيمُ لهم سيِّدنا المترجَمُ لهُ وزناً، ولا يُبيحُ لزعيمٍ روحيٍّ مثلِهِ أيَّ طلبٍ منهم، أَغْضَى عنهُ، ولم يَنْبِس فيه بِبِنْتِ شَفَةٍ[1]. وأنا شاهدتُ هذه القصّةُ ووقفتُ منها على مغازيَ شريفةٍ، غيرَ أنّ الظروفَ لا تُساعد على الإصحارِ بها.

وعلى عهد الاحتلال الانجليزيّ للعراق زار «جهان شاه خان» من أكبرِ زعماءِ القبائل بإيرانَ، وفي الرَّعيلِ الأوَّل من ذوي النَّجدة واليَسار بنواحي «زَنْجانَ» من بلاد «خَمْسَة» ـ الأعتابَ المقدّسةَ على مشرِّفيها السلامُ، فوصَلَ العلماءَ بالمالِ، وكانَ سيِّدُنا المترجَمُ يومئذٍ بالكاظميّة، فبعث إليه كمّيّة وافيةً تُعدُّ بالآلاف، فردَّها غيرَ مبالٍ بغَزارَتِها، ولا مكترثٍ بجاهِ صاحبها، وما استهانت نفسُهُ الأَبيَّةُ أن يكونَ لهُ عليه يَدٌ[2].

---

(١) نَبَسَ: تكلَّمَ، وأكثر استعماله في النفي، يقال: ما ينبسُ بكلمة. وبِنْتُ الشفةِ هي الكَلِمةُ.

(٢) اليد: النِّعمة.

ولو أرسلنا القلمَ ـ لِأَنْ يَخُطَّ ما شُوهدَ فيه من مظاهرِ الزُّهدِ أو التَّرفُّعِ عن التنازلِ إلى الدَّنايا ومساقِطِ الشهوات في مظانِّ النفعِ ـ لَشَطَّ بنا الإطنابُ عن القصدِ. وأقوى الشَّواهدِ على ذلك فيه وفي أبيه المقدَّس أنَّه قضى سيِّدُنا المجدِّدَ نحبَهُ وعليه دُيونٌ طائلة، وما كان يقضي دُيُونَهُ من بيتِ المال، ولذلك كان فيه المبلغُ الَّذي ذكرناه[1]، فأنفقه خلفُهُ الصالحُ ـ المترجَمُ لهُ ـ على الطَّلبةِ كما وصفناهُ، هذا والدُّنيا كانت مُنهالَةً عليه.

وليس من العَجَب أن يكون سيّدنا المترجم لهُ قد ركبه الدَّين على عهد أبيه اقتداءً به في عدم استباحةِ شيءٍ من أموال المسلمين على نفسِهِ، و كان بوُسْعِهِ أن يعيشَ بجاهِ والدهِ عِيشةً راضيةً، لكنَّ الزهادَة ومَنَعَةَ النفسِ كانتا تمنعانه عن كلٍّ منهما.

نعم، تلك شِنْشِنَةٌ علويّةٌ عَرَّقَها أَميرُالمؤمنين عليه السلام فيهم يومَ كان يتجنَّبُ أن يَبيتَ مِبْطاناً وحولَهُ بطونٌ غَرثى، أو لَعلَّ باليمامةِ من لا عهدَ له بالشّبع، ويتمثّل بقول القائل[2]:

[من الطويل]

وحَسْبُكَ داءً أَنْ تَبيتَ بِبِطْنَةٍ وحَوْلَكَ أَكبادٌ تَحِنُّ إلى القِدِّ[3]

---

(١) وهو خمسون ألف تومان.

(٢) هو حاتم الطائي، كما في شرح النهج الحديدي ١٦: ٢٨٨.

(٣) انظر الكتاب رقم ٤٥ من نهج البلاغة، وهو كتابُهُ عليه السلام إلى عثمان بن حنيف، وفيه قوله عليه السلام: ولو شئتُ لاهتديتُ الطريق إلى مُصَفَّى هذا العَسَل ولُبابِ القمح

فتفيَّأَ الناسُ وارفَ ظِلِّه، وهُوَ يتلمَّظُ بِكِسْراتِ أَقراصِ الشَّعير، ويختارُ من الملبسِ ما خَشُنَ، ومن المأْكَلِ ما جَشُبَ.

وما أشبهَ سيِّدَنا المجدِّدَ وابنَهُ سيِّدَنا المترجَم بسَلَفِهما الأقدسِ، يومَ ترفَّهَ بسَجْسَجٍ[١] ظِلِّ الوالدِ أُممٌ من النَّاسِ، وتهنَّأَ بسَيْبِ يمينِ الولدِ زُرافاتٌ من العُلَماءِ والأفاضل، وشَراذِمُ منَ الفقراءِ وذوي الفاقَةِ، وهُما يقضيانِ أيَّامَهُما بشَظَفٍ من العيشِ، وبَساطةٍ من الحياةِ؛ بيسيرٍ من الهدايا أو الاستدانة، ثمّ يقضيها اللهُ ولو بعد لَأْيٍ[٢] من العُمرِ، أو بِيَدِ الوارثِ من بعد الوفاةِ.

ولقد قَضَى سيِّدُنا المترجَم لهُ وعليه ما يناهز (٨٠٠ دينارٍ)[٣] من الدَّين على كثرةِ ما كان يُجبَى إليه أيَّامَ إقامتِهِ بالنجف الأشرفِ من الأموالِ من مقلِّديهِ، فيُدِرُّها على الطلبةِ دَرّاً، لأنّه ما كانَ يُضايقهم في حقِّ الإمام عليه السلام بصرفِ شيءٍ منه على نفسِهِ وذَوي قُرباهُ الَّذين يَعُولُهُم، فلا يعطيهم إلَّا مِن سَهْمِ ذَوِي القُربى والهدايا، وقد تتراكمُ عليه الدّيونُ لذلك ثُمَّ يؤدِّيها ممّا يفتحُ الله عليه.

ولقد شاهدته وعنده آلاف مؤلّفة من «الرُّبيَّات»[٤] أَعدَّها للتقسيم على

➲ ونسائجِ هذا القَزِّ، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تَخَيُّر الأطعمةِ، ولعلَّ بالحجازِ أو اليمامةِ من لا طمع له في القُرص ولا عهد له بالشِّبَع، أو أبيتَ مِبطاناً وحولي بُطُونٌ غَرْثى وأكبادٌ حرَّى، أو أكون كما قال القائل: وحسبك داءً... الخ.

(١) السَّجْسَجُ: المعتدِل لا حرّ فيه ولا برد.

(٢) اللَّأْيُ: الإبطاءُ والاحتباس.

(٣) هذا المبلغ في ذلك الوقت كان ضخماً جدّاً.

(٤) الروبيّة: عملة ذهبيّة كانت رائجة آنذاك.

الطُّلَّابِ وهو يستدين الطَّفائفَ لشخصيَّاتِهِ. وكذلكَ وُلْدُهُ وذَوُوهُ.

هكذا قضى سيِّدُنا المترجَمُ لهُ أَيَّامَهُ يَسُدُّ خَلَّةَ[١] المُعسِرِينَ حتَّى شاءَ اللهُ له لقاءَهُ.

وقال لي أحدُ العُلماءِ ليلةَ وفاتِهِ: إنَّ اللّيلةَ ظهر اليُتْمُ على كثيرينَ من أهلِ النَّجفِ.

وعلى هٰذه الأُكْرُومةِ فَقِسْ بَقِيَّةَ فضائِلِهِ الجمَّةِ من علمٍ وعَمَلٍ وتُقًى ووَرَعٍ وحزمٍ وسَدادٍ. ولقد كانَ كما قلتُ فيه من قصيدةٍ غديريّةٍ هنَّأْتُهُ بها:

[من الخفيف]

وَإلى سَـــيْبِهِ[٢] أَوِ البَـــحْرِ زُمَّتْ ... يَعْمُلاتٌ[٣] تَطْوي الفَدافِدَ وَخْدا

وَإذا رَأْيُـــهُ الحَـــدِيدُ[٤] تَـــجَلَّى ... قُـــلْتَ داودُ مُـــفْرِغٌ مِـنْهُ سَـرْدا[٥]

أَوْفَـــرُ النَّـاسِ فـي العُـلُوم ولٰكِـنْ ... هُـــوَ أَوْفَـى الأَنـامِ وَعْـداً وَعَـهْدا

إن يَـــفُتْهُ الوَعِـيدُ يَـوْماً لِـعَفْوٍ ... فَـمَدى الدَّهْـرِ لا يُـفَوِّتُ وَعْـدا

لا تَـقِسْهُ بِـالسَّيْفِ عَـزْماً وحَـزْماً ... فَـابْنُ بِـنْتِ النَّبِيِّ أَرْهَـفُ حَـدّا

تاهَ مِـنْكَ القِـياسُ إن قُـلْتَ يَـوْماً: ... إنَّ أَخْـــلاَقَهُ كـــرَوْضٍ مُـنَدَّى

---

(١) الخَلَّةُ: الحاجةُ والفقر.

(٢) السَّيب: العطاء.

(٣) يَعْمَلاتٌ: جمعُ يَعْمَلَةٌ، وهي الجمل والناقة المطبوعان على العمل.

(٤) الرأي الحديد: الثاقب المُصيب.

(٥) إشارة إلى قوله تعالى في الآية ١١ من سورة سبأ مخاطباً داود عليه السلام: ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾.

إِنَّ فِـيهِ مِـنَ الُّنـبُوَّةِ نَـبْعاً عَـلَّم الرَّوْضَ كَيْفَ يَـنْشُرُ نَـدّا[١]
جَـدِّدِي يـا نِـزارُ فِـيهِ سُـرُوراً فَـعَمِيدُ الهُـدَى إلى الفَـخْرِ جَـدّا
وَعَلَى الدَّسْتِ مُحْتَبَى شَـيْخُ فِـهْرٍ مُسْتَجِدّاً مِنْ شَـيْبَةِ الحَـمْدِ حَـمْدا

* * *

أَنْتَ يـا وارِثَ الُّنـبُوَّةِ وَحْـياً وَ كِـتاباً وسُـؤدداً زانَ مَـجْدا
قُـلْتُ إِذْ نُبْتَ عَـن أَبِـيكَ إِماماً: لَـم يَـمُتْ ذٰلِكَ الفَـقِيدُ المُـفَدَّى
فَـالمَعالي هِـيَ المـعَالِي ولٰكِـنْ قَد أَبَى الفَـضْلُ أَن يَـرَى لَكَ نِـدّا

وقلت من قصيدةٍ في مولدِ أميرالمؤمنين عليه السلام أُهنِّئُهُ بها:

[من المتقارب]

وَجَـوْهَرَ عِـلْمٍ حَـوَى صَـدْرُهُ كَـذلِكَ يَـحْوِي اللَّآلِي الصَّـدَفْ
وَحَسْبُ زَعِـيمِ بَـني غـالِبٍ مَدِيحُ الكِتابِ وَذِكْـرَى الصُّـحُفْ
فَـدَعْ شِـبْلَ أَحْـمَدَ وَالمَكْـرُماتِ وَدُونَكَ شـــانِئَهُ وَ الَّتـــرَفْ
صَـرِيخُ قُـرَيْشٍ فَـمَنْ عَـرَّهُ الـ ـــخُطُوبُ لِـعَلْيا حِـماهُ دَلَـفْ
مَشَى في الثَّرى وعَلَى هـامَةِ الثُّـ ...ـــرَيّا بَـنَى مِـن عُـلاهُ الغُـرَفْ[٢]
فَـما لِـلْوَرَى عَـنْهُمُ نُـدْحَةٌ[٣] وَفِـيهِمْ لِـواءُ الُّنـبُوَّةِ رَفْ

---

(١) النَّدُّ: عودٌ يُتبَخَّرُ به، وطِيبٌ معروف.

(٢) قال أميرالمؤمنين عليه السلام في شعر منسوب إليه كما في أنوار العقول: ٤٣٦:

فكُنْ رَجُلاً رِجلُهُ في الثّرى وهـامةُ هِـمَّتِهِ فـي الثُّـرَيّا

(٣) النُّدْحة: المُتَّسَع.

فَمُخْتَلَفُ النّاسِ فِيهِمْ[١] وَلِلْـ ـمَلائِكِ في بَيْتِهِمْ مُخْتَلَفْ[٢]
إِلَيْهِمْ وَعَنْهُمْ وَإِلّا فَلا حَدِيثٌ يُقالُ وَمَدْحٌ يُزَفْ

ومن لاميّة ضمّنتها معجزةً للإمام موسى بن جعفر عليهما السلام وهنَّأْته بها:

[من الوافر]

وَحَسْبُ الفَخْرِ أَنَّكَ آيَةُ اللَّـ ـهِ في عَلْيائِكَ الآياتُ تُتْلَى
لَكَ البَيْتُ الحَرامُ وَفِيكَ أَضْحَتْ تِهامَةُ تَزْدَهِي حَرَماً وَحِلّا
(عَلِيَّ) الخَيْرِ أَنْتَ لَنا إِمامٌ وَما بَرِحَتْ لَكُمْ نَسْلاً فَنَسْلا
جَلَلْتَ عَنِ النُّعُوتِ فَكُلُّ وَصْفٍ يُقالُ فَأَنْتَ في التَّعْرِيفِ أَجْلَى
نَماكَ إِلَى الهُدَى لَيْثاً مَزِيراً[٣] هِزَبْرٌ مُعْقِبٌ في الغابِ شِبْلا
خَصَصْتُكَ بِالمَدِيحِ وَبِالتَّهاني فَشِبْلُ المُصْطَفَى بِالمَدْحِ أَوْلى

وقلتُ من مُوشَّحَةٍ حسينيّةٍ في مولده عليه السلام وهنَّأْتُ سيِّدنا المترجَمَ بها:

قُمْ فَهَنِّ ابْنَ الهُداةِ الأَطْيَبِينْ سَيِّدَ البَطْحاءِ مِنْ عَلْيا مُضَرْ

---

(١) المُخْتَلَفُ: مصدر ميمي بمعنى الاختلاف ضدّ التوافق. وفيها إشارة إلى نزول قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَائَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ العَظِيمِ * الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ في أمير المؤمنين عليه السلام واختلافهم فيه.

(٢) اسم مكان من الاختلاف بمعنى التردّد والذهاب والإياب.

(٣) المَزِير: الشديد القلب. ويصحّ أن تضبط «مُزِير» مخفّفة «مُزْئِر»؛ اسم فاعل من أَزْأَرَ بمعنى صاتَ من صدره وردّد صوته.

مَـنْ لِأَمْـرِ الدِّيـنِ لَـوْلاهُ قَـمِينْ[١] وَعَـنِ الإِسْـلامِ مَـن يَـنْفِي الغِيَرْ؟!
جَـدُّهُ «الذِّكْـرُ» وَقَـدْ جَـاءَ مُـبِينْ وَهُـوَ الآيَـةُ مِـن تِـلْكَ السُّـوَرْ
هُوَ أَنْـدَى النَّـاسِ طُـرّاً بَـطْنَ راحْ[٢] يُـخْجِلُ المُـزْنَ إذا مـا أَغْـدَقا
وَهْوَ أَحْمَى النَّاسِ إِنْ عَمَّ الصِّياحْ[٣] كَـيْفَما لاقَـى البَـلاءَ المُـحْدِقا

* * *

آيَـةُ اللهِ إِلَـيْهِ المَـفْزَعُ إِن دَهَـى خَـطْبٌ أَوِ اشْـتَدَّتْ إِزَمْ[٤]
بِـفِناهُ يَـهْتَدِي المُـنْتَجِعُ فَـهْوَ لِـلإِسْلامِ والدِّيـنِ عَـلَمْ
بَـهَرَ الأَلْـبابَ فِـيهِ المُـبْدِعُ مُـودِعاً فـي صُـنْعِهِ كُـلَّ الحِكَـمْ
لِـدَةُ البَـحْرِ لَـهُ كَـفٌّ سَـماحْ وَأَخُـو البَـدْرِ مُـحَيّاً أَشْـرَقا
وَحَكَتْ أَقْـلامُهُ سُـمْرَ الرِّمـاحْ شُـرَّعاً فـي الرَّوْعِ تَسْـبِي الرُّمُـقا[٥]

* * *

أَنْتَ يـابْنَ الحَسَـنِ الزَّاكِـي الإِمـامْ رَضِـيَ الشَّـانِئُ فِـيها أَمْ غَـضِبْ
وَلَكَ الأَسْـتارُ وَالبَـيْتُ الحَـرامْ شَـهِدَتْ تَـتْبَعُ آيـاتِ الكُـتُبْ

---

(١) قمين: جدير.

(٢) أخذه من قول جرير كما في ديوانه: ٩٨:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمينَ بطونَ راحِ

(٣) الصّياح: الحرب، لما يصاحبها من الأصوات.

(٤) الإِزَم: جمعُ الأَزْمة، وهي الشدّة والضِّيقة.

(٥) الرُّمُق: الحُسَّدُ.

فِيكَ ما قَدْ سَوَّدَتْ نَفْسَ عِصامْ[١] وَأَثِيلُ المَجْدِ في عالِي النَّسَبْ
وَلَكُمْ مِنْ شَيْبَةِ الحَمْدِ مُباحْ مُحْتَبَى الدَّسْتِ وَفَخْرٌ بَسَقا
مَنْ يَحِدْ عَنْكَ فَدَعْهُ حَيْثُ طاحْ راكِباً جَهْلاً صَعِيداً زَلَقا[٢]

ولنا في سيّدنا المترجَم لهُ مدائحُ جمَّة، وكذلك لكثيرينَ من أُدباءِ العراق وأفاضلها وشعرائها وشعراء فارس، وشطرٌ منها مذكورٌ في الدِّيوان المُنوَّه به سابقاً تركناها خشيةَ الإطناب، وإنّما ذكرنا هذه الجُملَ إيذاناً بعقائدنا فيه بعدَ معاشرةِ سنينَ متطاولةٍ وقفنا خِلالها على نفسيَّاته الكريمة، وسجاياه الشَّريفة، ونواياهُ الطَّيِّبة.

---

(١) إشارة إلى قول النابغة الذبياني ـ كما في ديوانه: ١١٦ ـ في عصام بن سهل حاجب النعمان:

نفسٌ عُصامٍ سَوَّدت عصاما وعَلَّمَتْهُ الكرَّ والإقداما

(٢) أخذه من قوله تعالى في الآية ٤٠ من سورة الكهف: ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِنَ السَّماءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً﴾.

[رجوع سيّدنا من سفره]

عرَّج سيِّدنا المترجَم لهُ من سفره إلى خراسان على قاعدةِ مجده، وموطنِ أبيه وأُسرته سامرّاءَ المشرَّفة، وألقى بها عصا السَّير غُرَّةً في جبينِها، وقرّةً لعينِها، حتّى سادَتْ بها القلاقلُ والهَرجُ من جرّاءِ الحرب العالميّة، وانسحابِ جُيُوش الأتراك، وصَوْلات الحشدِ البريطاني الّتي تركَتْها كخُطَّةٍ لِحُروبٍ طاحنةٍ، فغادَرها هو والإمامُ المجاهدُ الميرزا محمّد تقي الشيرازي ومن يلتفُّ بهما إلى الكاظميَّة، وذلك سنة ١٣٣٤.

أمّا الإمامُ الشيرازيُّ فمكث بها غير بعيدٍ حتّى بارحها إلى كربلاءَ المقدَّسةِ.

وأمّا المترجَمُ لهُ فأطالَ المكث بها ثلاثَ سنينَ كانت في غُضُونها مساعيه المشكورةُ حولَ القضيّة العراقيّةِ، وطَلَبِ استقلالِهِ التامِّ بعد ما أُتيحت الفُرَص للعراقيِّين لطلبِ ذلكَ، وتحرِّي مَلِكٍ عربيٍّ مسلمٍ بإلماع من عُصبةِ الأُمم. فسجَّلَ التاريخُ له ولِمُشاطِرِهِ في العمل الشيخ المجاهد الخالصي[1] صحيفةً

---

(١) الفقيه المجاهد المرجع الديني الشيخ محمّد مهدي الشيخ عزيز الخالصي الكاظمي، كان من العلماءِ المجتهدينَ والفقهاءِ البارعينَ، ولد في مدينة الكاظميّة في ١٥ من ذي الحجّة سنة ١٢٧٧، وتلقّى علومه في الكاظميّة وسامرّاء والنجف الأشرف عند الأعلام الكبار: الشيخ عبّاس الجصّاني، والشيخ محمّد حسين الكاظمي، والشيخ الميرزا حبيب الله الرشتي، وغيرهم. وله مؤلَّفات في الفقه والأُصول مطبوعة في الكلام، ورسالة عمليّة لمقلّديه، وكان على جانب عظيمٍ من الورع والتَّقوى والزُّهد والجهاد في سبيل الله. ولقد

بيضاءَ تُرتِّلها الحِقَبُ والأعوامُ.

ثمّ يمَّمَ أرضَ الحائر الحسينيِّ على مشرِّفها السلام، فدخلها أوّلَ يومٍ من شهرِ رمضانَ سنة ١٣٣٧، واستقبلَهُ العلماءُ والأشرافُ إلى خارجِ المدينة، وعُطِّلتِ الأسواقُ لوُرُوده.

ولم يُطِلِ المكثَ بها حتّى أَمَّ النَّجفَ الأشرفَ، وعاد أحدَ أئمَّتها المقدَّمِينَ، وفي الطَّليعةِ من علمائِها المجتهدينَ، وسبقت له في تلكمُ الظُّروفِ أعمالٌ مقدَّرَةٌ حول الاستقلال العربيّ والثورة العراقيّة، فكانتِ النَّوادي السِّرِّيَّةُ تعقد في داره كُلَّ ليلةٍ، ويَؤُمُّها أهلُ الحلِّ والعقد، فَتَبُثُّ النتائجَ إلى الملأ، وإلى مُحتَشَداتِ القبائل، وكثيراً ما كانت دارُهُ العامرةُ في تلك الأيّام تُمثِّل ثُكْنةً عسكريّةً من توارُدِ الزُّعماءِ عليه، و مع كُلِّ لَفِيفُهُ، حاملينَ بُندُقيَّاتِهم وأسلَحَتَهُم، إلى تفاصيلَ مشهودةٍ يومئذٍ لا يسع المقامُ سردَها.

لم تَطُلِ الأَيّامُ حتَّى قضى شيخُنا الإمام الميرزا محمّد تقي الشيرازي نحبَهُ في أثناءِ تِلكُمُ المطامعِ، ومِن يومئذٍ أخذَ صيتُ سيِّدنا المترجَمُ لهُ في النُّشُورِ، وأُلقِيَ إليه زمامُ التقليدِ في مُدُنِ إيران وغيرِها، وجُبِيَتْ إليه الأموالُ الطَّائلةُ، فكان يُنفقها على أهلِها كما أوعزنا إليه، ونُشِرَتْ رسائِلُهُ العمليَّة عربيّةً وفارسيّةً، فلم يزل في الطِّراز الأوّل من الزُّعماءِ الرُّوحيِّين الَّذين تدورُ عليهم الفتيا والتقليد والتدريس، وبيمينهِ صحيفةٌ ناصعةٌ خَطَّ فيها قلمُ الصِّدقِ والنَّصيحةِ آثاراً ومآثرَ خالدةً من

➲ وافاه الأجل في اليوم الثاني عشر من شهر رمضان سنة ١٣٤٣ في المشهد المقدّس، ودفن في حرم الإمام الرضا صلوات الله عليه في رواق دار السيادة. انظر أحسن الوديعة ٢: ١٢٢.

عِلْمِهِ وعَمَلِهِ، من هديهِ وهُداهُ، من مجدِهِ وشرفِهِ، من أَواصِرِهِ وعناصِرِهِ، من خلائِقِهِ وسجاياه، من ومن ومن ... ولقد أَبقاها خالدةً ما بَقِيَتْ صحائفُ التَّاريخِ.

[من الوافر]

فَـإِنْ جـاراهُ ذُو سَـفَهٍ دَعـاهُ: «فَغُضَّ الطَّرْفِ إِنَّكَ مِن نُمَيْرٍ»[1]

وأمّا علومه: فهي الفقهُ وأُصولُهُ وسَبْقُهُ البعيدُ فيهما، ونظريّاتُهُ العميقةُ وأفكارُه الناضجةُ وبراعتُهُ في التحقيق عَرَفتها العلماءُ والأفاضلُ، ولا يُشكِّكُ فيها أيُّ منصفٍ أُعطِيَ حظّاً من العلمِ يُمكِنُهُ معه الوقوفُ عليها.

ومن علومه: الفلسفةُ العالية، وعلم الكلام، وقد عَلِمَ معاصرُوهُ ومعاشرُوه بحظِّهِ الأوفى، ونصيبِه الأوفرِ منهما.

وأمّا التاريخُ والأدب: فما كان يُشَقُّ فيهما غبار، وكان يرغَبُ في القريضِ وينقُدُهُ، ويُقَدِّرُ ذويه، ولذلك أصبحَتْ حَفَلاتُهُ في مواليد أئمّة الدين عليهم السلام عامرةً به، وقد مَدَحَتْهُ الشُّعراءُ منذ عهدِ أبيه إلى آخر أيّامِه بقصائدَ رنّانةٍ، وجُملةٌ منها مذكورةٌ في الديوان.

لم يبرز شيءٌ من كتاباتِ سيِّدنا المترجَم العلميّةِ إلى عالَم المطبوعات، وهي جمَّةٌ ثمينة، وفيها العلمُ الغزيرُ، والتحقيقُ الفائقُ، والأنظارُ الثاقبةُ، ولم يزل هو رَمْزَ الحَقِّ، وبَلَجَ الإصلاحِ، وشارَةَ الإخلاصِ، ومنارَ العلمِ، وعَلَمَ الهدى.

حتَّى اختارهُ الله لجوارِهِ ليلةَ الأربعاءِ ١٨ ربيع الثاني سنة ١٣٥٥، فكانت ليلةَ

---

(١) هذا من قول جرير ـ كما في ديوانه: ٧٥ ـ في هجاء الرّاعي النُميري الشاعر المعاصر له:

فَغُضَّ الطَّرفَ إنّك من نُميرٍ فَـلا كـعباً بَـلَغْتَ ولا كِـلابا

فاجعةٍ كُبرى فى النجف الأشرف، وأخذتْ زُرافاتُ المزدلفينَ إلى فقيد المجدِ والشَّرفِ، وجماهيرِ المشيِّعين جثمانَهُ ليلاً إلى «الجدول» فغُسِّل تحتَ قُبَّةٍ منصوبةٍ له، ومن غدٍ تعطّلتِ المدارسُ والأسواقُ، وتجمهَرَ النَّاسُ إلى تشييعهِ، ومشى فيه العلماءُ والأشرافُ، وجميعُ طبقاتِ النَّاسِ، والمواكبُ اللَّادمةُ والجموعُ الكئيبةُ في أعلامٍ خافقةٍ، وزفراتٍ مُتصاعِدَةٍ، وعَبَراتٍ جاريةٍ، وشظايا قلوبٍ متطايرةٍ، ولسانُ الحالِ من كُلٍّ منهم يَهْتفُ به:

[من الوافر]

أَحامِيَةَ الهُدى وَالدِّينِ مَهْلاً ... وَإِن تَكُ مُرْقِلاً لِذُرًى فِساحِ

فَإِنَّ الرُّزْءَ بَعدَ نَواكَ أَضْحَى ... يُفرِّقُ وَقْعُهُ شَمْلَ الصَّلاحِ

وَإِنَّ نَواكَ قَدْ أَوْدَى بِقَوْمٍ[1] ... هُدُوا بِسَناكَ في سُنَنِ[2] النَّجاحِ

لَقَدْ أَرْشَدْتَهُم بِهُدًى وهَدْيٍ ... وَأَخْلاقٍ بَشَشْتَ بِهِمْ سِجاحِ[3]

وعِلْمٍ ناجِعٍ وسَدادِ ثَغْرٍ[4] ... وَأَحْلامٍ خُصِصْتَ بِها رِجاحِ

نَهَضْتَ بِعِبْءِ عِلْمِ الدِّينِ رَدْحاً ... تُنِيلُ هُداهُ بِالكَلِمِ الفِصاحِ

---

(١) أودى به: أهلكه.

(٢) السُّنَن: جمعُ السُّنَّة وهي السيرة والطريقة. ويصحّ ضبطها «سَنَن» بمعنى الطريقة، يقال: مَضَى على سَنَنِهِ، أي على وجهه وطريقته.

(٣) سِجاح: جمع سَجيح، وهو السهل الليّن.

(٤) إشارة إلى قول العرجي كما في ديوانه: ٢٤٦:

أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا ... لدفع مُلِمَّةٍ وسَدادِ ثغرِ

ونُبْتَ بِهِ عَنِ «المَهْدِيِّ» حَقّاً تُناشِدُ عَنْهُ «حَيَّ عَلَى الفَلاحِ»[١]

ولم يبرحوا بسريره بالسِّتر المُزَرْكَشِ مجلَّلاً محفوفاً بالأعلام، تحملُهُ رُؤُوسُ الأصابعِ، وتُرفرفُ عليه القلوبُ، حتّى أدخلوه الصحنَ المقدَّس، ثمّ صُلِّيَ عليه، وطيفَ به بالضَّريح المقدَّسِ العلويِّ، ثُمّ دُفِنَ في مقبرة أبيه بمَقْرُبَةٍ منه، ولم يدفنوا فيه إلَّا السُّؤْددَ الظَّاهرَ، والشَّرفَ الجميعَ، ومثالَ العلمِ والتُّقى، ومُنْبَثَقَ أَنوارِ الهدى، وتوالت الفواتحُ في المشاهدِ الأربعة[٢] بالعراقِ، والعاصمةِ وغيرِها، وفي بلادِ إيرانَ والهندِ، وأَبَّنَتْهُ الشُّعراءُ بقصائدَ كثيرةٍ أُدرجتْ في الديوان، ولقد قلتُ في ذلك:

[من الوافر]

بِرَغْمِكِ حَلَّ يا مُضَرَ البِطاحِ بِرَبْعِكِ طارِقُ القَدَرِ المُتاحِ
فَأَوْحَشَها عَشِيَّةَ في رُباها أَصاتَ نَعِيُّ مُدْرِكَةِ الصِّياحِ
نَعَى مِن غالِبٍ ثَبَجَ المَعالي وَمِن عَمْرٍو العُلَى بَلَجَ الصَّباحِ

وهي طويلة.

---

(١) من شعر شيخنا المؤلّف قدّس سرّه.

(٢) النجف وكربلاء والكاظميّة وسامرّاء.

[خلف الميرزا علي آقا]

خلفه عالمان فاضلان، وقد أَخذا بعضاً من العلمِ والعملِ، ووَرِثا من أبيهما المجدَ والخَطَرَ، ألا وهما: العلّامة الميرزا محمّد حسن[1]، والعلّامة الميرزا

(١) أكبر أولاد المترجم لهُ، حجّة الإسلام والمسلمين السيّد الميرزا محمّد حسن الحسيني الشيرازي، ولد في سامرّاء عام ١٣١٥، ونشأ على أبيه المعظَّم، وهاجر معه إلى الكاظميّة عام ١٣٣٣، ومن بعده إلى النجف الأشرف، وأكمل دراسته على يد جملة من العلماء الأعلام مثل: الشيخ النائيني، والشيخ العراقي، والشيخ الإصفهاني قدّس الله أسرارهم، ونال منهم ومن غيرهم إجازة الاجتهاد في عام ١٣٥١.

وممّا جاء في إجازة المحقّق النائيني ـ المصدَّقة من قبل السيّد أبوالحسن الأصفهاني، والشيخ عبدالكريم اليزدي ـ: «إنّ جناب العالم العامل، والفاضل الكامل، عمدة العلماء الأتقياء، وقدوة الفضلاء الأزكياء، مروِّج الأحكام، ثقة الإسلام، الأغا الميرزا محمّد حسن أدام الله إفضاله، وكثَّر من العلماء العاملين أمثاله.. ممّن بذل جهده في طلب العلم والعمل به مدّةً من عمره، واشتغل به شطراً من دهره، معتكِفاً بجوار الأئمّةِ الطاهرين، مستمِدّاً من الجهابذة الأساطين، حتّى بلغ درجةً ساميةً من الاجتهاد، مقرونةً بالصَّلاحِ والرَّشادِ، فله العمل بما يستنبطه من الأحكام على النهج المتعارف بين المجتهدين الأعلام».

وورد في إجازة المحقِّق العراقي ـ التي صدّقها فيما بعد السيّد الطباطبائي الحكيم قدّس سرّه ـ: «إنّ ممّن سعى إلى تحصيل معالم الدين القويم، وشملته عناية الربّ الكريم، العالم الفاضل الكامل، عمدة العلماء، وصفوة الفقهاء، زين الملّة والدين، افتخار المسلمين، ثقة الإسلام، السيّد الميرزا حسن دامت تأييداته.. فإنّه ممّن صرف عمره في

➲ تحصيل العلوم الشرعيّة، والأحكام الدينيّة، حتّى بلغ مرتبة الاجتهاد».

وذكر المحقِّق الإصفهاني في إجازته ـ التي صدّقها لاحقاً السيّد الميرزا عبدالهادي الشيرازي قدّس سرّهما ـ: «إنّ السيّد الجليل، والسند النبيل، ذا الشرف الأصيل، والمجد الأثيل، صفوة العلماء الأعلام، وثقة الإسلام، سيّدنا الأجلّ المؤتمن، جناب الميرزا محمّد حسن الشيرازي دامت معاليه، قد حضر على غير واحد من الأعيان، وعَلَيَّ شطراً من الزمان، لتحقيق المباني الفقهيّة، وتنقيح القواعد الأُصوليّة، مراعياً للتأدُّب بالآداب الدينية، والتخلُّق بالأخلاق الإلهيّة، حتّى فاز ـ وللّه الحمد ـ بالمراد، وحاز درجة الاجتهاد، فله ـ دام مجده وعلاه ـ العملُ بما يستنبطه من الأحكام، فإنّه بمداركها خبيرٌ، وبمسالكها بصير».

وجاء في إجازة المحقِّق الشيخ محمّد كاظم الشيرازي: «إنّ العالم علم الأعلام، والفاضل العامل الهمام، عماد العلماء الأتقياء، وسناد الأفاضل الأزكياء، نخبة العلماء العاملين، وزبدة الفقهاء والمجتهدين، ركن الأنام، وثقة الإسلام، جناب الميرزا حسن أدام الله تعالى تأييده، وأحسن تسليله، نجل العلّامة الشيرازي، حجّة الإسلام، وآية الله في الأنام، حضرة الميرزا علي آقا دامت بركاته السامية، ممّن مَنَّ الله تعالى عليه بالفطرة الوقّادة والفطنة النقّادة، والفكرة القويمة، والسليقة المستقيمة، ووفَّقه لصرف عمره الشريف في تحصيل العلوم الشرعيّة، وتكميل المعارف الدينيّة، واكتساب الأخلاق السَّنِيَّة، والصِّفات المرضيَّة، وتهذيب نفسه الزكيّة، في الحضور على الأساتذة العظام، والجهابذة الفخام، وَجَدَّ في الليالي والأيّام، واستفادَ وأفادَ، حتَّى بلغ الاجتهاد، وفاز بقوّة الاستنباط، فهو ممّن عليه الاعتماد في العلم والعمل».

وقد توفّي قدّس سرّه في النجف الأشرف في ١١ شهر رمضان عام ١٣٩١، ودفن في مقبرة جدّه السيّد المجدِّد قدّس سرّه.

➲

ولم يعقب غير خمس بنات: الأُولى عند الحجّة العلّامة السيّد محمّد كلانتر، وهو السيّد محمّد ابن السيّد سلطان ابن السيّد مصطفى الموسوي، الشهير بـ«كلانتر»، من سادات «كوشه» في «دزفول». ولد في النجف الأشرف سنة ١٣٣٥، ودرس المقدّمات في مدارسها الدينيّة، ثمّ حضر البحوث العالية، وتوجّه إلى خدمة المجتمع الإسلامي، فكان من أوائل أعماله مساهمته في نشر كتاب «جامع السعادات» للعلّامة النراقي، بإشراف الحجّة الكبير الشيخ محمّد رضا المظفّر. كما نَشَرَ «اللمعة الدمشقيّة» و«المكاسب» وأَخرجهما بحُلَّة قشيبة. ومن أعماله الأُخرى سعيُهُ في بناء جامعة النجف الدينيّة، الّتي أنفق عليها الوجيه المرحوم الحاج محمّد تقي اتِّفاق، ولا تزال صرحاً شامخاً في مدخل البلد المقدّس النجف الأشرف. توفّي في ليلة الجمعة أوّل ليلة من شهر رمضان المبارك قبل صلاة المغرب سنة ١٤٢٠، ودفن في مقبرة خاصّة إلى جنب مسجد جامعة النجف الأشرف الدينيّة في حيِّ السَّعْد.

والثانية عند آية الله العظمى السيّد علي السيستاني دام ظلّه الوارف على رؤوس المسلمين، وهو سماحة آية الله العظمى سيّد الفقهاء والمجتهدين المرجع الديني الأعلى السيّد علي ابن السيّد محمّد باقر ابن السيّد علي ابن السيّد محمّد رضا ابن السيّد إبراهيم الحسيني السيستاني. ولد مدّ ظلّه في التاسع من ربيع الأوّل سنة ١٣٤٩ في مدينة مشهد الرضا عليه السلام، ونشأ فيها نشأة عالية، فتدرّج في الأوّليات والمقدِّمات، ثمّ حضر في الفقه والأُصول والمعارف الإلهيّة على جمع من علمائها الأعلام، منهم آيات الله: الميرزا مهدي الإصفهاني، والميرزا مهدي الآشتياني، والميرزا هاشم القزويني. وفي أواخر سنة ١٣٦٨ انتقل إلى الحوزة العلميّة في قمّ المشرّفة فحضر فيها بحوث العلمين الآيتين: السيّد البروجردي والسيّد الحجّة الكوهكمري قدّس سِرُّهما. ثمّ غادرها متّجهاً إلى الحوزة العلميّة المقدّسة في النجف الأشرف في صفر سنة ١٣٧١، وحضر فيها البحوث

الفقهيّة والأُصوليّة لعدد من أعلامها، منهم العلمان العظيمان: السيّد الخوئي والشيخ حسين الحلّيّ قدّس سرّهما، فقد لازمهما مدّة طويلة، وشهدا ببلوغه الاجتهاد المطلق في شهادتين مؤرَّختين في عام ١٣٨٠، كما كتب شيخ محدّثي عصره صاحب «الذريعة» شهادة مؤرَّخة في سنة ١٣٨٠ أيضاً يُطري فيها على مهارته في علمَي الحديث والرجال. وقد ابتدأ دام ظلّه في سنة ١٣٨١ بإلقاء محاضراته الفقهيّة في ضوء «مكاسب» الشيخ الأنصاري، وأعقبه بشرح «العروة الوثقى»، فتمَّ له شرح كتاب الطهارة، وأكثر كتاب الصلاة، وقسمٌ من كتاب الخمس، وكتابي الصوم والاعتكاف، ويواصل ـ اليوم ـ شرح كتاب الزكاة. وكانت له محاضرات فقهيّة أُخرى خلال السنوات الماضية تَناولت كتاب القضاء وبحوث الربا وقاعدة الإلزام وقاعدة التقيّة وغيرها، كما كانت له محاضرات رجاليّة شملت حجّيّة مراسيل ابن أبي عمير وشرح مشيخة التهذيبين وغيرهما.

وابتدأ دام ظلّه بإلقاء محاضراته الأُصوليّة من شعبان عام ١٣٨٤، وأنجز دورته الثالثة في شعبان سنة ١٤١١. ويوجد تسجيل صوتي لجميع محاضراته الفقهيّة والأُصوليّة منذ عام ١٣٩٧ وإلى اليوم.

ومن أهمّ مؤلّفاته: ١ ـ شرح العروة الوثقى، ٢ ـ البحوث الأُصوليّة، ٣ ـ كتاب القضاء، ٤ ـ كتاب البيع والخيارات، ٥ ـ رسالة في صلاة المسافر، ٦ ـ رسالة في قاعدة اليد، ٧ ـ رسالة في صيانة الكتاب العزيز عن التحريف، ٨ ـ رسالة في الربا، ٩ ـ رسالة في تاريخ تدوين الحديث في الإسلام، ١٠ ـ رسالة في مسالك القدماء في حجّيّة الأخبار.

ولسماحته من العقب ولدان عالمان فقيهان سارا على نهجه، واقتفيا أثره في العلم والفضيلة، وخدمة الإسلام والمسلمين، الأكبر: السيّد محمّد رضا، والآخر السيّد محمّد باقر، حفظ الله والداً وما ولد.

والثالثة من بنات المترجم له خرجت إلى المرحوم السيّد محمّد حسن إمام الجزائري،

محمّد حسين[١]، ولكلٍّ منهما ذريَّةٌ دُرِّيَّةٌ.

➲ من أحفاد السيّد نعمة الله الجزائري.

والرابعة من بناته خرجت إلى الأُستاذ المحامي السيّد علي نجل العلّامة المرحوم السيّد عبّاس الموسوي ـ المُهْرِي ـ الساكن في الكويت.

(١) هو المرحوم حجّة الإسلام والمسلمين السيّد الميرزا محمّد حسين الحسيني الشيرازي: ولد في سامرّاء في يوم الأربعاء ١٠ ذي القعدة عام ١٣١٩ كما وجدته بخطّ والده المعظّم قدّس سرّه.

وقد تربّى في حجره، وهاجر معه إلى الكاظميّة، ثمّ إلى النجف الأشرف، وحضر على العلماء الأعلام: الشيخ النائيني، والشيخ العراقي، والشيخ محمّد كاظم الشيرازي، وقد صاهر الأخيرَ على كريمته، ونال من أُستاذته إجازة الاجتهاد.

وقد سكن طهران، وتوفّي بها في ٧ محرّم الحرام عام ١٣٧٤ على أثر اصطدام سيّارة كانت تقلّه أودت بحياته، ونقل جثمانه إلى النجف الأشرف، ودفن يوم ١١ من الشهر المذكور في مقبرة جدّه السيّد المجدِّد قدّس سرّه.

وقد خَلَّفَ أبناءً خمسة، وعدّةَ بنات.

وأكبر أبنائه أحد علماء طهران المشهورين، وهو سماحة الحجّة الكبير السيّد رضي الدين الحسيني الشيرازي دامت بركاته، ومن ولده الدكتور السيّد مرتضى المتوفّى في جماى الآخرة سنة ١٤١٢، والدكتور السيّد باقر، الذي تُوفّي في يوم الإثنين ٨ شعبان سنة ١٤٢٨هـ الموافق ٢٠٠٧م. وابنته الكبيرة عند الأُستاذ العلّامة السيّد محمّد السيّد علي بحر العلوم. (المحقق).

[عميد الأُسرة]

وعميد بيتهم اليوم: العلّامةُ الكبير حجّة الإسلام والمسلمين المجتهدُ الفذُّ السيّد الميرزا عبدالهادي ابنُ فقيدِ العلم والدين، فقيدِ الزَّعامة والإمامة، السيّد الميرزا إسماعيل السابق ذكره وترجمته، وكانَ ابنَ عمِّ سيِّدنا المجدِّد ـ السيّد الأمير رضي ابن السيّد الميرزا إسماعيل[١] ـ وقد صاهرَ الإمام المجدِّد عمَّهُ بكريمتِهِ شقيقةِ الحاج الميرزا إسماعيل[٢].

وخلّف السيّد الميرزا إسماعيل اثنين:

السيّد الميرزا عبدالحسين، وقد هبط طهرانَ منذ ردحٍ طويلٍ، وخُطَّتُهُ الاعتزالُ عن الناسِ، والإعراضُ عن الدُّنيا وحُطامِها، وعدمُ التنازل إلى الدَّنايا[٣].

وأمّا أخوه المترجَم له ـ السيّد الميرزا عبدالهادي ـ فهو العَلَمُ المفرد للفقه والتحقيق، برع في العلوم الدينيّة أجمع؛ من فقه، وأُصول، ومعقول، ومنقول، وأدب، ونبغ في قرض الشعر العربي، ونظمه بالفارسيّة، وشَفَعَ تلكُمُ العبقريّةَ بنفسيَّة كبيرةٍ لا ترضى له إلّا الذِّروة والسَّنام من كُلِّ فضيلةٍ وخِصالٍ، مشتقَّةٍ عن

---

(١) الأمير رضي بن إسماعيل بن فتح الله بن عابد ـ كما تقدّم في أوّل الترجمة ـ هو عمّ السيّد المجدِّد (المحقق).

(٢) وولدت له آية الله السيّد الميرزا علي آقا وشقيقته، فالمترجم له ابن خالهما. (المحقق).

(٣) توفّي سنة ١٣٦٧ في النجف الأشرف عند زيارته للعتبات المقدّسة، ودفن في مقبرة جَدِّنا المجدِّد قدّس سرّه. (المحقق).

أصلِهِ النَّبويِّ، وخلالٍ مرضيَّةٍ، عرّقها فيه سلفُهُ الطاهرُ. ولا بِدْعَ فنفسُ أبيهِ بينَ جَنْبَيْهِ[1]، وخلائقُ أسلافِهِ موروثةٌ له، فَهُوَ لا يزالُ يرفُلُ بين نفسٍ أَبيَّةٍ، وأنفٍ حَميٍّ، وخُلُقٍ رضيٍّ، وعلمٍ مُتَدَفِّقٍ، أبقاهُ المولى علماً للدِّين، وغوثاً للمسلمين.

وله تلاميذُ علماءُ منتشرونَ في البلادِ، وهو اليومَ أحدُ المدرِّسينَ الأعاظم، والمجتهدين الأعلام في النجفِ الأشرف.

أخذ العلمَ عن الحجج والآيات العظام: ابن عمّته السيّد الميرزا علي آقا، والميرزا محمّد تقي الشيرازي، والمولى محمّد كاظم الخراساني، وشيخ الشريعة الإصفهاني.

ولد عام وفاة أبيه سنة ١٣٠٥، فهو اليوم متجاوزٌ للعقد الخامس من عَشَراتِهِ بسنتين.

ومن شعره العسجديّ هذه الأبيات من قصيدة يمدح بها شيخَ الأُمَّةِ، وأبا الأَئمَّةِ أبا طالب سلام الله عليه:

[من الطويل]

أَبُو طالبٍ حامِي الحَقِيقَةِ سَيِّدٌ ... تُزانُ به البَطحاءُ في البَرِّ والبَحْرِ

حَمَى المُصْطَفَى في بَأْسِ أَصْيَدَ ماجِدٍ ... تَذِلُّ لَهُ الهاماتُ في مَوْقِفِ الفَخْرِ

أَبُو الأَوصياءِ الغُرِّ عَمُّ مُحَمَّدٍ ... تَضُوعُ به الأَحْسابُ عَن طَيِّبِ النَّجْرِ

---

(١) عندما جاء الأمر الحتم من عبيدالله بن زياد لعنه الله بأن ينزل الإمام الحسين عليه السلام على حُكمه ويبايع ليزيد أو يُقتل، قال عمر بن سعد لعنه الله: هيهات، واللهِ إنّ نفسَ أبيهِ بين جنبيه. انظر الكامل في التاريخ ٤: ٥٦، والإرشاد للمفيد ٢: ٨٩.

أَبُو طالِبٍ والخَيْلُ واللَّيْلُ واللِّوا ... لَهُ شَهِدَتْ في مُلْتَقَى الحَربِ بالنَّصْرِ
فَقُل واحِدُ الدُّنيا وثانٍ لَهُ الحَيا ... وَفي زَهْوِهِ قُل ثالِثُ الشَّمْسِ والبَدْرِ
وأَنَّى يُحيطُ الوَصْفُ غُرَّ خِصالِهِ ... وَقَدْ عَجَزَتْ عن سَرْدِها صاغَةُ الشِّعرِ
لَقَدْ عَرَفَتْ مِنْهُ الخُطُوبُ مُحَنّكاً ... تَدَرَّعَ عِندَ الزَّحْفِ بِالبَأْسِ والحِجْرِ
كَمَا عَرَفَتْ مِنْهُ الجُدُوبُ أَخا نَدًى ... دُوين سَداهُ[1] الغَمْرِ مُلْتَطَمُ البَحْرِ
ولَولاهُ ما قامَتْ لِأَحْمَدَ دَعْوَةٌ ... ولا كان لِلإِسْلامِ مُسْتَوْسِقُ الأَمْرِ
كَفى مَفْخراً شَيخَ الأَباطِحِ أَنَّهُ ... أَبُو حَيدرِ المَنْدُوبِ في شِدَّةِ الضُّرِّ

إلى آخر القصيدة[2].

وله شعر باللسانين كثير، وإنّما ذكرنا هذه الأبيات أُنموذجاً منه، وله رسائلُ وكتاباتٌ علميّة فقهيّة مِلْؤُها تحقيقاتٌ فائقةٌ، وأنظارٌ عميقةٌ[3].

* * *

(١) السَّدى: العطاء.

(٢) تجدها كاملة في باب التراجم (من هنا وهناك).

(٣) من الواضح أنّ هذه الترجمة كتبت قبل مرجعيّة سيّدنا المترجَم لهُ قدّس سرّه، وقد جرى ذكره كثيراً في مجاميع جدّنا العلّامة المؤلّف قدّس سرّه وعلى لسانه، وكان من المحبّين والداعين له أينما حلّ وارتحل، وقد أذابَ نفسه وشخصيَّتَه من أجله، وبذل جميع إمكانيّاته لرفع مقامه ومنزلته. وله ترجمة أُخرى مفصّلة ذكرناها في باب التراجم (من هنا وهناك). (المحقق).

[الخاتمة: وفيها فوائد]

أوّلاً: كان لسيِّدنا المجدِّد ابنٌ ثالثٌ اسمُهُ: الميرزا محمّد حسين، ولد في ليلة الثلاثاء جمادى الأُولى سنة ١٢٧٦، وتوفّي بلا عقب.

وكانت له ابنتان:

إحداهما: شقيقة ولده الزّعيم العلّامة الحجّة آية الله السيّد الميرزا علي آقا قدّس سرّه، وخرجت إلى السيّد الجليل الميرزا علي محمّد ابن السيّد الميرزا أبي القاسم الشيرازي.

وكان السيّد الميرزا أبوالقاسم عديلَ الإمام المجدِّد؛ إذ كانت تحته كريمة السيّد الأمير رضي، فكانت حليلةُ السيّد الميرزا علي محمّد ابنةَ خالته.

وولدت له:

١ ـ السيّد الميرزا أحمد، وكان من علماء شيراز، وفي أُخرياته هبط طهران، فكان أحد أئمّتها المبرَّزين، حتّى قضى نحبه سنة ١٣٥٦.

٢ ـ والميرزا تقي، وهو من الأفاضل الأذكياء الأعلام، وهو الآن في طهرانَ يشغل منصّة الإمامة[1].

٣ ـ والميرزا مهدي.

---

(١) توفّي قبل سنوات في طهران.

وتوفّي لهم أخ من قبل، وتوفّيت أُمّهم سنة ١٣٣٦.

وأمّا كريمة الإمام المجدِّد الأُخرى فهي شقيقة ولده الأكبر العلّامة الحجّة السيّد الميرزا محمّد المترجَم لهُ سابقاً، وخرجت إلى الناسك الزاهد السيّد الميرزا محمّد علي الملقّب بـ«الميرزا آقا»[١]، وكان من العُبَّاد، وهو ابن البارع المفضال السيّد الميرزا أحمد أخي الإمام المجدِّد، وكان فاضلاً أديباً كاملاً.

خلّف السيّد الميرزا آقا من حليلتِهِ كريمة المجدِّد العالمَ البارعَ السيّد الميرزا هادي، المولود في ٢٤ شهر ربيع الأوّل سنة ١٢٩٦، وقد جمع إلى فضله الجمِّ مكارمَ الأخلاقِ، وإلى نسبه القصير قِسطاً من الأدب ليس بالنَّزرِ اليسير، إلى تُقىً وورعٍ، وهُدًى غير متّبع[٢].

---

(١) وجاء ذكره الشريف في مكان آخر من أوراق جدّنا العلّامة المؤلّف هكذا: الآقا الميرزا آقا ابن الحاج الميرزا أحمد المستوفي ابن الميرزا محمود الحسيني الشيرازي، ابن أخي المجدِّد وصهره على كريمته، والمُربَّى في حجره.

توفّي أبوه في حدود سنة ١٢٧٥، فلم يمكث بشيراز إلّا أقلَّ من سنتين حتّى هاجر لخدمة عمّه إلى النجف، وهو في حدود ٢٠ من عمره، فكان يقرأ على عمِّه، ويتبرّك ببحث شيخ الطائفة الأنصاري ٦ سنين.

فممّا حكاه عن الشيخ: أنّه قال: إنّ درسي لثلاث: الميرزا محمّد حسن، والميرزا حبيب الله، وآقا حسن الطهراني.

وحكى عنه أيضاً: أنّه في مرض موته أشار إلى الرجوع بعده إلى المجدِّد.

وكان المترجَم لهُ من المرتاضين بالعبادات والأوراد والأذكار، والتقصُّد في المأكل والمشرب والملبس، وعدم القصد لما لا يعنيه، انتهى. أقول: توفّي سنة ١٣٣٥ ودفن في مقبرة الإمام المجدّد الشيرازي.

(٢) توفّي سنة ١٣٧٧ في شهر ربيع الأوّل، ودفن في مقبرة السيّد المجدِّد الشيرازي.

وكان له أخٌ من أبيه اسمه الميرزا محمّد حسين من الفضلاء البارعين، قضى نحبه من ذي قبل[١].

ثانياً: كان لأخي الإمام المجدِّد السيّد أحمد كريمةٌ هي أُختُ السيّد الميرزا آقا[٢] المذكور، خرجت إلى العلّامة الحجّة الميرزا إبراهيم الشيرازي السابق ذكره، فأولَدَهما العالمَ الفاضلَ الميرزا أبا الفضل، فهو مُخْوِلٌ بهذا البيت الرفيعِ.

وللإمام المجدِّد أخٌ آخر هو النَّطاسيُّ[٣] المحنَّك الميرزا أسد الله؛ كان قدوةَ الأَواسي[٤]، وحيداً في أنظارِهِ وتشخيصاته ومعالجاته، لا يُلحَقُ شَأْوُهُ، ولا يُشَقُّ له غبارٌ، وكان له تقدُّمٌ في الأخلاق، وثباتٌ على التَّقوى، تُوفِّي بسامرّاء سنة ١٣١٠ ودفن بها. وخلفه الفاضل البارع الميرزا علي أحد أطبّاءِ النجف المبرَّزِين[٥].

---

(١) وله أخ آخر أيضاً من أبيه وهو السيّد عبدالصاحب ابن السيّد محمّد علي، توفّي في حياة والده شابّاً سنة ١٣٣٠ كما جاء في الطبقات ج ١ ص ١٧٢. وكانت له ابنتان: خرجت إحداهما إلى العالم الكبير آية الله السيّد مهدي الشيرازي المتوفّى سنة ١٣٨٠، والأُخرى إلى الفاضل السيّد محمّد حسين ابن السيّد محمّد هادي ابن السيّد محمّد علي الحسيني الشيرازي. (المحقق).

(٢) اسمه محمّد علي كما تقدّم.

(٣) النَّطاسي: العالم، والطبيب الحاذق.

(٤) الأواسي: جمع الآسي، وهو الطبيب.

(٥) سكن في أُخريات أيّامه في خراسانَ في مشهد الإمام الرضا عليه السلام، وتُوفّي فيها سنة ١٣٧٩، وخلّف ولداً من أهل العلم اسمه السيّد آقا نجفي، أحد أصهار آية الله السيّد

ثالثاً: كان لآية الله السيّد الميرزا علي آقا ثلاث بنات:

خرجت إحداهنّ إلى ابن أخيه السيّد الميرزا جعفر ابن السيّد الميرزا محمّد ابن الإمام المجدِّد، ومنها ذريّتُهُ: ابنٌ واحد ـ وهو الفاضل السيّد الميرزا محمّد[١] ـ وأربع بنات.

وخرجت الثانية إلى ابن أُخته السيّد الميرزا مهدي المذكور آنفاً، وأَعقبت بنتاً واحدة خرجت إلى الفاضل البارع السيّد الميرزا عبدالمطّلب ابن السيّد الميرزا هاشم ابن السيّد الميرزا محمّد ابن الإمام المجدِّد.

وخرجت الثالثة إلى السيّد آقا رضا الطباطبائي الرازي. كما أنّ أخاه السيّد الجواد[٢] صهر العلّامة الحجّة السيّد الميرزا عبدالهادي على كريمته، وأخاه

عبدالهادي الحسيني الشيرازي، وكان يسكن في طهران، وتوفّي فيها سنة ١٤١٨ على الظاهر.

وخلّف السيّد أسدُ الله ولداً آخر هو السيّد محمود، الذي هو والد السيّد أحمد المعروف بـ«الحكيم»، المتوفّى سنة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، ودفن في مقبرة المجدّد الشيرازي، وإنّما لُقِّب بـ «الحكيم» لكون أبيه وجدِّه كانا من الأطباء، وكان يصطلح على الطبيب بـ «الحكيم». وكان يتاجر ببيع «البذورات»، وله أولاد ساروا على هذا النهج حفظهم الله تعالى. (المحقق).

(١) وهو والد السيّد محمّد مهدي جامع هذه الموسوعة، وصهر العلّامة الأُوردبادي، رحمهما الله. (المحقق).

(٢) هو ابن السيّد أبوالحسن الطباطبائي الرازي، كان من أهل العلم والفضيلة والتقوى، وكان من أعيان بلده المرموقين. هاجر إلى العراقِ أيّامَ السيّد المجدِّد في سامرّاء، وقد احترمه

الآخر صهر السيّد الميرزا أبو القاسم من بني عمومة الإمام المجدِّد، هو وأخوه السيّد الميرزا فاضل، والسيّد الميرزا محمّد حسين المتوفّى سنة ١٣٥٦، وكان من الأطبّاء المُدْرَبِينَ[١]، خَلَفُهُ السيّد الميرزا أبوالحسن أحدُ أطبّاءِ النجف المشهورين.

وابنتا السيّد الميرزا محمّد ابن سيّدنا المجدِّد خرجت إحداهما إلى السيّد الميرزا فاضل المذكور، والأُخرى إلى السيّد الميرزا هادي ابن السيّد الميرزا آقا السابق ذكره.

رابعاً: وممّن يَمُتُّ لهذا البيت بنسب وسبب: السيّد الميرزا عبدالله[٢] الورع التَّقيّ، وأخوه العلّامة الحجّة مثال الفقه والورع وعَلَم العلم والعمل، السيّد الميرزا مهدي، وأخوه الآخر السيّد الميرزا جعفر من الأفاضلِ الأعلامِ[٣].

والسيّد الميرزا مهدي من نوادر الوقت وحسنات العصر، يَنْحَسِرُ الوصفُ

السيّد كثيراً، فاختار له زوجة من بنات عمّه وهي بنت السيّد إسماعيل ابن عمّة أبيه، كما اختار أُختَ السيّد المترجم لهُ لولده آية الله السيّد الميرزا علي. فخلف المترجَم لهُ أولاداً خمسة: منهم السيّد جواد وهو والد السيّدين السندين: السيّد الفاضل العلّامة محمّد هادي، وأخيه السيّد عبدالمهدي. وتوفّي السيّد جواد سنة ١٣٥٨، أو السنة ١٣٥٩، وكان شابّاً عمره ٤٥ عاماً، ودفن في وادي السلام. (المحقق).

(١) المُدْرَب: الحاذِق بصناعته.

(٢) توفّي سنة ١٣٥٥ في إيران. (المحقق).

(٣) توفّي في يوم الثلاثاء قبل الظهر السابع عشر من ذي القعدة سنة ١٣٧٠ في مستشفى «الفيروزآبادي» من مشهد سيّدنا عبدالعظيم الحسني، ودفن في المشهد المطهَّر. (المؤلّف).

عن سرد مآثره؛ إنْ في علميّاته، وإنْ في أدبيّاته، وأمّا التُّقى ومكارم الأخلاق فهو ابن بَجْدَتِهما[١]، وفضائلُهُ أكثرُ من أن تُحصى.

وله في قرض الشعر العربي يدٌ ليست بالقصيرة، ونصيبٌ لعلَّه من أَوفى الأَنصباء[٢].

وابنةُ السيّد الميرزا عبدالله خرجت إلى العلّامة السيّد الميرزا حسن ابن آية الله السيّد الميرزا علي آقا المذكور سابقاً.

---

(١) بَجْدَة الأمر: باطنُهُ وحقيقتُهُ.

(٢) توفّي قدّس سرّه في كربلاء المشرّفة في ٢٨ شهر شعبان سنة ١٣٨٠، وكان يوم وفاته يوماً مشهوداً، ودفن في المقبرة المعروفة بـ«مقبرة الإمام الشيرازي الحائري» في الصحن الحسينيّ.

وقد أعقب سيّدنا المهدي قدّس سرّه أَنجالاً نجباء اقتفوا أثره في العلم والعمل والجهاد، ولكُلٍّ منهم دور متميّز في خدمة الإسلام والمسلمين، وأكبرهم العلّامة الفقيه آية الله السيّد محمّد الشيرازي قدّس سرّه المتوفّى في ٢ شوّال سنة ١٤٢٢، والشهيد السعيد العلّامة السيّد حسن المقتول في لبنان في ١٦ جمادي الثانية سنة ١٤٠٠، وآية الله السيّد صادق دام ظلّه، وهواليوم أحد المراجع في مدينة قم المشرّفة، وهم على حدّ قول الشاعر:

من تَلْقَ منهُمْ تَقُلْ لاقيتُ سيِّدَهُم مثل النُّجومِ الّتي يُهدى بها الساري

ولبعض هؤلاء السادة العلماء ذراري فضلاء ساروا على خُطى ركب الآباء والأجداد، منهم الفقيد الذي خسرته الأُمّة الإسلاميّة توّاً، المجاهد العلّامة الحجّة سماحة السيّد محمّد رضا بن السيّد محمّد ابن السيّد مهدي الشيرازي تغمّده الله برحمته، والّذي تُوفّي في يوم الأحد صباحاً بعد صلاة الفجر ٢٦ جمادى الأولى ١٤٢٩، ودفن في كربلاءَ المقدّسة في مقبرة جدّه آية الله السيّد مهدي الشيرازي في صحن الإمام الحسين عليه السلام. (المحقق).

وهؤلاء كلّهم لهم أولاد وذراري، لكنّا لم نعطف على الإشارة بذكرِ الأطف ولا مَن لم يبلغْ مبالغَ الرِّجال من بيت المجدِ والشرف الَّذي أَذِنَ الله أَن يُـ ويُذكَرَ فيه اسمُهُ[١].

خامساً: حَسِبَ بعضُ الباحثين أنَّه لم يكن لسيِّدنا المجدِّد طريقُ رواية ـ ما هو المطَّرِدِ بين العلماءِ؛ السَّلفِ منهم والخلف، وقُصارى ما عنده أنَّه لم يُـ خُبْراً بها، لكن من العجائب أنّه لم يفتأ مُصِرّاً على النَّفي، لكنّي وجدتُ إ منه قدّس سرّه للعلّامة الحجّة الحاج مُلّا علي العلياري التبريزي ـ المتوفّى ١٣٢٧، صاحب التآليف العلميّة الممتعة ـ أدرجها المُجاز له في كتابه «بـ الآمال في علم الرجال».

وللعلّامة السيّد سبط حسين[٢] آل العلّامة المروّج المجتهد الكبير الس دلدار علي اللكهنوي الهنديّ، أحدِ أعلام القارّة الهنديّة، روايةٌ عنه بالإجازة وحدّثني العلّامة الشيخ الهادي[٣]: أنّ والده العلّامة الكبيرالشيخ عبّاس[٤] الشيخ علي آل الشيخالأكبركاشف الغطاء أيضاً كانت له روايةٌ عن الإمام المج

---

(١) اقتباس من قوله تعالى في الآية ٣٦ من سورة النور: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ اسْمُهُ﴾.

(٢) السيّد سبط حسين اللَّكهنوي مترجَم في حرف الهمزة من سبائك التبر كما سيأتي.

(٣) الشيخ هادي كاشف الغطاء، ترجم في باب المجاميع (الجوهر المنضّد) من الموسوعة.

(٤) الشيخ عبّاس بن علي كاشف الغطاء، ترجم في باب المجاميع (الحدائق ذات الأكمام

وأُنهِيَ إليّ أنّه يروي هو عن شيخ الطائفة الإمام الأنصاري، وعن العلّامة السيّد الميرزا زين العابدين الخونساري[١] والد صاحب الروضات، بأسانيدهما المذكورة في «خاتمة مستدرك الوسائل» للعلّامة النوري قدّس سرّه. وشيءٌ ممّا قلناه لايتَّفقُ مع ما أَصَرَّ به ذلك الباحث المنقِّب، فإنّه لم يُجِزْ مستجيزَهُ إلَّا وهو يعلم أنّه حَلَقَةُ الاتّصال بين سلفه وخلفه.

وأمّا خَلَفُهُ الصالح آية الله السيّد الميرزا علي آقا، فهو يروي عن العلّامة السيّد الميرزا عطاء الله الخوانساري[٢]، وعمِّه العلّامة السيّد الميرزا هاشم الجهارسوقي[٣] بأسانيدهما المذكورة في «روضات الجنّات»، و«خاتمة مستدرك الوسائل»، ولنا عنه روايةٌ.

سادساً: انقسمت الرئاسةُ الكبرى الروحيّة بعد وفاة سيِّدنا المجدِّد بين أفذاذٍ

---

(١) السيّد زين العابدين الخوانساري، ترجمه الإمام الطهراني في الكرام البررة من الطبقات ٢: ٥٩٠ ـ برقم (١٠٦٠)، فذكر اسمه وهو: الميرزا زين العابدين ابن السيّد أبي القاسم جعفر ابن السيّد حسين الشهير، أُستاذِ الميرزا القمّيّ صاحب «القوانين» وغيرِهِ من الأعاظمِ.. واستمرّ شيخنا بذكر آبائه إلى أن وصل إلى أبي عبدالله ابن الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

كان أحد رجال العلم الأعلام، وفقهاء الأُمّة في إصفهان. ولد سنة ١١٩٠، وتوفّي سنة ١٢٧٥.

(٢) السيّد عطاء الله الخوانساري مترجم في باب المجاميع (الحدائق ذات الأكمام) من هذه الموسوعة.

(٣) السيّد محمّد هاشم الجهارسوقي مترجم في باب المجاميع (المجموعة الكبيرة) من هذه الموسوعة.

من علماء الأُمّة، فعاد كلٌّ في السَّنامِ الأرفع من زعامة الشيعة، وهم الآيات العظام: الميرزا محمّد تقي الشيرازي، والسيّد إسماعيل الصدر، والشيخ محمّد طه نجف، والحاج الميرزا حسين الخليلي الرازي، والشيخ محمّد حسن المامقاني، والفاضل الشرابياني، والسيّد محمّد كاظم الطباطبائي اليزدي، والمولى محمّد كاظم الخراساني، وغيرهم.

ومنهم: العلّامة شيخ الفقهاء الحاج آقا رضا الهمداني، ولحقهم الحاج الشيخ عبدالله المازندراني.

وتعاقبت وفياتهم، وبطبيعة الحالِ أَنّ كُلّاً من الباقين كان يحوزُ شطراً من موقعيّة الراحل منهم، فتُوفّي شيخنا المحقّق الهمداني، والعلّامة الشرابياني سنة ١٣٢٣، والشيخ المامقاني سنة ١٣٢٣، والشيخ محمّد طه نجف سنة ١٣٢٣، والزعيم الخليلي سنة ١٣٢٦، والمؤسِّس الخراساني سنة ١٣٢٩، والشيخ المازندراني[1] سنة ١٣٣٠، والفقيه الطباطبائي اليزدي سنة ١٣٣٦، والسيّد الصدر سنة ١٣٣٧، والإمام الشيرازي سنة ١٣٣٨.

وبعد وفاة السيّد اليزدي[2] ترشّح للزعامة شيخنا الأُستاذ الفقيه المتبحِّر شيخُ

---

(١) الشيخ عبدالله ابن الشيخ محمّد نصير الجيلاني المازندراني النجفي، من أعاظم العلماء، وأكابر المدرِّسين، وكان أحدَ المراجع البارزين في زمانه، وكان زاهداً لا يرغب في القضاء والمرجعيّة. وله مؤلّفات وحواشٍ. ولد سنة ١٢٥٦، وتوفّي سنة ١٣٣٠ في النجف الأشرف، ودفن في مقبرة الشيخ التستري. انظر طبقات أعلام الشيعة ٣: ١٢١٩ ـ رقم الترجمة (١٧٤٨).

(٢) وبعد وفاة الفقيه السيّد اليزدي انتقلت المرجعيّة العامّة للشيعة إلى الإمام المجاهد الورع

الشريعة الإصفهاني، وحازها، لكنْ لم تَطُلْ أيَّامُهُ حتّى قضى نحبَهُ بعد الإمام الشيرازي بقليل سنة ١٣٣٩.

ثمّ عادت الرئاسةُ الروحيّةُ في البلاد والتقليدِ إلى جماعةٍ آخرينَ، في الطليعة منهم أُناسٌ أحدُهُم: سيِّدنا آية الله السيّد الميرزا علي آقا ـ خَلَفُ سيِّدنا الإمام المجدِّد قدّس سرّهما ـ الذي عرفت ترجمته، وآياتُ الله: الشيخ الميرزا محمّد حسين النائيني، والحاجّ الشيخ عبدالكريم اليزدي[1] نزيلُ قمَّ المشرَّفةِ، والسيّد محمّد الفيروزآبادي[2]،.....

➲ الشيخ الميرزا محمّد تقي الشيرازي الحائري، وبعد وفاته سنة ١٣٣٨ انتقلت المرجعيّة العامّة إلى الإمام المجاهد الشيخ فتح الله شيخ الشريعة الإصفهاني المتوفّى سنة ١٣٣٩.

(١) الشيخ عبدالكريم اليزدي مترجم في باب المجاميع.

(٢) السيّد محمّد بن محمّد باقر الحسيني الفيروزآبادي اليزدي. ولد في قرية «فيروزآباد» سنة ١٢٦٥ ونشأ بها، ثمّ هاجر إلى النجف الأشرف وتتلمَذَ على أعلامها، منهم: السيّد المجدِّد، والشيخ محمّد كاظم الخراساني، والسيّد محمّد كاظم اليزدي، وكان صهره، وهي أُمّ ولده الحجّة السيّد مرتضى.

مؤلّفاته: جامع الكلم في اللباس المشكوك ـ ط. حاشية العروة الوثقى ـ ط ـ وغيرهما.

توفّي في طريق سامرّاء سنة ١٣٤٥، ودفن في النجف الأشرف في الصحن الشريف في أوّل حجرة على اليسار للخارج من باب الطوسي.

ويكفيه فخراً أنّه والد العالم الكبير السيّد مرتضى الفيروزآبادي صاحب المؤلّفات القيّمة، منها: مختصر الجواهر، وعناية الأُصول في شرح الكفاية، وفضائل الخمسة من الصحاح الستّة.

كان يذكر دائماً شيخَنا المؤلِّفَ بالثّناء والإطراء، ويقول: إنّ الشيخَ الأُوردبادي شجّعني ➲

والشيخ علي[١] الشيخ باقر آل صاحب الجواهر، والشيخ أحمد آل كاشف الغطاء[٢]، والسيّد أبوالحسن الإصفهاني[٣]، والسيّد حسين الطباطبائي

كثيراً على تأليف كتابي «فضائل الخمسة».

وسمعت منه أيضاً: أنّه كان يخصّص في الأُسبوع أيّامَ العطل ـ الخميس والجمعة ـ للاشتغال بتأليف هذا الكتاب ولمدّةِ عشرينَ سنة، ولم يدع كتاباً غير الصحاح فيه ذكر منقبة لآل البيت عليهم السلام إلّا وراجعه، ونقل منه. توفّي سنة ١٤١١ في مدينة قمَّ، فسلام عليه يوم ولد، ويوم أفاد، ويوم يبعث حيّاً. (المحقق).

(١) الشيخ علي ابن الشيخ باقر ابن الشيخ محمّد حسن صاحب الجواهر النجفي، فقيه ثَبْتٌ، وعالم كبير، جدُّه صاحب الجواهر، ووالده من أكابر العلماء، وكفى بهما فخراً. نشأ في بيت العلم والزعامة والشرف، عُرِفَ بالذكاء والمثابرة لطلب العلم، وكان يتفقّد الفقراء المتعفّفين ويصلهم في غَلَسِ الليل.

أقول: نقل لي ولده الشيخ محمّد تقي: أنّه وزّع ما لديه من المال قبل يوم واحد من وفاته ولم يترك لنفسه وعياله شيئاً، ولم يضع لبنة على لبنة، لا داراً ولا عقاراً. وكان رضوان الله عليه من المراجع المقلَّدِين، توفّي (١٣٤٠). انظر طبقات أعلام الشيعة ٤: ١٣٤٩ ـ الترجمة (١٨٨١) لتجد ترجمة وافية جديرة بالقراءة والاطّلاع عليها، ليعرف الإنسان كيف خلق الله تعالى أمثالَ هؤلاء الأَوتاد من العلماء العظام.

(٢) الشيخ أحمد ابن الشيخ علي ابن الشيخ محمّد رضا ابن الشيخ موسى ابن الشيخ جعفر ابن الشيخ خضر الجناجي النجفي، عالم فقيهٌ، ومجتهدٌ كبيرٌ، درس على الحجَّتين السيّد اليزدي، والشيخ الخراساني، وبعد وفاة السيّد اليزدي صار مرجعاً للتقليد، وله مصنّفات كثيرة. توفّي سنة ١٣٤٤ في حياة والده رحمهم الله تعالى، وهو أخو الإمام الشيخ محمّد الحسين قدّس سرّه. انظر طبقات أعلام الشيعة ١: ١١٢ ـ الترجمة (٢٥٢).

(٣) آية الله العظمى السيّد أبوالحسن الموسوي الإصفهاني، عالم جليل، ومرجع عامٌّ للإماميّة

القمّي[١] نزيلُ خراسانَ أَمْسِ، والحائرِ الشريفِ اليومَ، أدامه المولى علماً للدِّين، وغوثاً للمسلمين. وتوفّي غيرَ الأخيرين[٢] كلُّهم، فباسمهما يُهتَفُ اليومَ في البلادِ، وإليهما مرجعُ العبادِ، ومعهما شيخُنا الأُستاذ آية الله الشيخ محمّد حسين الإصفهاني[٣]، وسيِّدُنا آية الله السيّد حسين الطباطبائي البروجردي القاطن ببروجرد[٤].

➲ في عصره، فقد طَبَّقتْ شهرتُهُ الآفاق، وأصبح مفتي الشيعة في سائر الأقطار الإسلاميّة، وما زال ذكره العاطر على شَفَتي الناس، ويضربُ به المثل في الكرم والكرامات وإدارة شؤون المجتمع.

ولد سنة ١٢٨٤، وتوفّي سنة ١٣٦٥، وكان لوفاته صدى عظيم في العالم الإسلامي. ودفن في أوّل حجرة من الصحن الشريف على يسار الداخل من باب السوق الكبير. انظر طبقات أعلام الشيعة ١: ٤١ ـ الترجمة (٩٢).

(١) السيّد القُمّي ترجم في باب المجاميع (الجوهر المنضّد) من هذه الموسوعة.

(٢) وقد توفّي الأخيران أيضاً من بعد، وإنّما كانا حيَّيْنِ حين كتابة المؤلِّف سطوره النورانيّة هذه.

(٣) الشيخ الإصفهاني مترجم في باب التراجم (من هنا وهناك) من هذه الموسوعة.

(٤) السيّد حسين الطباطبائي البروجردي من أشهر زعماء الإماميّة في زمانه، وكان مقرّه مدينة قُمَّ المشرّفة؛ دار العلم الثانية بعد النجف الأشرف.

ويصل نسبه الشريف إلى السيّد جواد شقيق السيّد محمّد مهدي بحر العلوم المتوفّى سنة ١٢١٢، ولآبائه وأجداده آثار مهمّة، ومواقفُ علميّة مشهورة، وهو كأنّه موضع المثل من قول الفرزدق كما في ديوانه:

أُولئكَ آبائي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ إذا جَمَعَتْنا يا جَريرُ المَجامِعُ

➲

وفي المشاهد المُشَرَّفة علماءُ أعلامٌ غير هؤلاء، لم تتمَّ لهم المرجعيّة والشهرة الطائلة، أو إنّهم حازوا يسيراً من الأمر، كَلَأَ المولى كُلَّهم بعينِ عنايته، ووفَّقنا لما يحبُّ ويرضى، وبلّغنا المنى في الآخرة والأُولى بمحمّد وآله الطاهرين.

وليكن هذا آخر ما نثبته من هذه الذكرى الخالدة خدمةً للعلمِ والعلماءِ، وإنجازاً لما رغب إليَّ فيه الفاضلُ البارعُ الخطيبُ المِدْرَهُ[1]، والشاعر ابن الشاعر الشيخ محمّد علي آل المرحوم الأديب الخطيب الشيخ يعقوب النجفي الحلّي[2]،

➲ ترجم قدّس سرّه في طبقات أعلام الشيعة ٢: ٦٠٥، وراح مؤلِّفها شيخنا الطهراني يشيد بذكره الزاهر، ويذكر أيّامه العطرة التي مرّ بها أيّام دراسته في النجف الأشرف على علمائها العظام، وكيف كانت صلته الودّيّة معه، ويذكر: أنّه ما نسيه حتّى أيّام زعامته ورئاسته، فكان يسألُ عنه كُلَّ من يأتي إليه من أهل العلم من النجف الأشرف. ثمّ ذكرَ إجازةَ سيِّدنا المترجَم لهُ لشيخنا الأُوردبادي رحمهما الله وذكرَهُ من مشايخه، فكان يعدُّ ذلك حسنةً من حسناتِهِ الَّتي لا ينساها.

كانت ولادته سنة ١٢٩٢، ووفاته ١٣ شوّال ١٣٨٠، وكان لنبأ وفاته دويٌّ كبيرٌ وصدى عظيمٌ في العالم الإسلامي. ودفن في مدينة قمّ المشرّفة في الجامع الأعظم الّذي شيّده وأَسّسه، وهو جامع ضخم وكبير، ويُعَدُّ من جملة مآثره الكريمة، وخدماته الخالدة رضوان الله عليه. (المحقق).

(١) المِدْرَهُ: سيّد القوم وزعيمهم، المتكلِّمُ عنهم.

(٢) توفّي في النجف الأشرف سنة ١٣٨٥، وله ترجمة مختصرة في باب التراجم (من هنا وهناك) من هذه الموسوعة.

مبدياً فيها رغبةً الكاتب البارع البحّاثة النَّيْقَد الفاضل «توفيق أفندي الفكيكي»[١] في الوقوف عليها للاستناد إليها في كتابه القيّم «تاريخ سامرّاء المشرّفة».

وكان الفراغ من عقد جمانها في ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٧ في النجف الأشرف.

بقلم

الأحقر: محمّد علي الغروي الأُوردبادي

---

(١) الأُستاذ الفكيكي ينتهي نسبه إلى بني شيبان من بكر بن وائل؛ بطن من ربيعة الفَرَس. عالم باحث، وكاتب ضليع، ومصنّف خبير، وهو صاحب التآليف القيّمة، منها: «الراعي والرعيّة» في جزئين، شرَحَ فيه عهدَ الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام إلى عامله مالك الأشتر حين ولّاه مصر، قارَنَ فيه بين القوانين الحديثة، وبين قواعد الحكم في الإسلام، وهو كتاب فريد في بابه. وله كتاب «المتعة» في الفقه، فنّد فيه أقوال المخالفين القائلين بتحريم نكاح المتعة، وهو أوّل كتاب في الفقه على الطريقة الحديثة.

وبالجملة: فهو في طليعة المفكّرين الّذين خدموا النهضة العلميّة والأدبيّة في العراق، وله دور وافر في الحركات الوطنيّة والسياسيّة.

أخذنا هذه الترجمة باختصار من طبقات أعلام الشيعة في القرن الرابع عشر لشيخنا الكبير آقا بزرك ١: ٢٧١.

أقول: وكانت وفاته في بغداد سنة ١٣٨٩، ونقل إلى النجف الأشرف، ودفن في وادي السلام. (المحقق).

المحتويات

هذا الكتاب ٥

أقوالُ العلماء في حقِّه وعظمة مقامه ١٠

بعض كمالاتِه ومواقِفِه ٢٢

هجرته إلى سامرّاء وعيون تلامذته ٢٧

مؤلّفاته ٤٦

طبقات العلماء من تلامذته ٤٩

السيّد إسماعيل الشيرازي ووفاته ٦١

السيّد الميرزا محمّد الشيرازي ٦٧

بناء المدرسة العلميّة للطلّاب ٧٤

نصب جسر على نهر دجلة ٧٧

بناء رباط للزُّوّار ٨٠

واقعة فتنة ٨١

فتوى تحريم التبغ ٨٧

حكم السيّد بفسخ بيع أراضٍ إيرانيّة إلى دولة روسيا ٩٨

مساعي أُخرى لسيّدنا المجدِّد ١٠١

مقارنة بين مرجعيّة المجدِّد ومن كان قبله ١٠٣
التجاءُ الناس إليه في الملمّات ١٠٨
المجدِّدُونَ ١١٠
وفاةُ سيِّدِنا المترجَم له ١١٧
ترجمة خلفه الصالح الميرزا علي آقا ١٢٤
بعض المواقف المشرِّفة للميرزا علي آقا ١٢٨
رجوع سيِّدنا من سفره ١٣٦
خلف الميرزا علي آقا ١٤١
عميد الأُسرة ١٤٦
الخاتمة: وفيها فوائد ١٤٩